الجزء ٣ المجلد ١٠



(دمشق) : آذار سنة ١٩٣٠ م الموافق شوال سنة ١٣٤٨ هـ

قاعدة توهم الاصالة

— أو —

« انجذاب الطبع »

كنت منذ خمس سنوات نشرت مقالاً في مجلة المجمع (مجلد ٥ ص٢٠٥) بعنوان « تأصيل اصل في اللغة العربية » قررت فيه قاعدة لغوية سميتها (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) وبنيتها على ما روي من أن (عمارة ابن عقيل) أحد من تؤخذ عنه اللغة في القرن الثالث للهجرة استعمل في شعره كلمة (أرياح) جمع ريح . فخطأه ابو حاتم السجستاني قائلاً ان هذا لايجوز وانما هي (أرواح) بالواو لان (الياء) في مفرده مقلوبة عن (واو) فاعتذر عقيل بقوله (لقد جذبني اليها طبعي) يعني انه لسمعهم يقولون في جمع ريح (رياح) فتوهم الياء أصلية فقاس عليها (ارياح) .

وقلنا في مقالنا المذكور ان علماء اللغة افترصوا غلط عقيل واستفادوا من(انجذاب طبعه) فخرّجوا كلمات كثيرة في اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) مخالفين القياس في ذلك . وقد تتبعت طائفة من تلك الكلمات سردتها واحدة واحدة في مقالي المذكور . وأثبت كيف كان قياسها وكيف جرى الاستعمال عليها بخلاف القياس مراعاة لقاعدة (توهم الأصالة) وهذه هي تلك الكلمات نذكرها درج مقالنا هذا :

(١) عيد أعياد
(٢) منطقة تمنطق
(٣) مدرعة تمدرع
(٤) مسكن تمسكن
(٥) منديل تمندل
(٦) مُسْلم تمسلم.
(٧) مذهب تمذهب
(٨) مصير أمصرة ومصران ومصارين
(٩) مسيل مُسُل مسلان أمسلة
(١٠) مكان أمكنة أمكن أماكن
(١١) حيلة أحيل
(١٢) تخمة أتخمه الطعام
(١٣) تهمة أتهمه الحاكم
(١٤) (ساق) وجمعها سؤق بالهمزة
(١٥) سنة سانهه
(١٦) ثور أشيه

هذه الكلمات وردت في كلام العرب فهي اذاً قاموسية وقد طبّقها علماء اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) . وهناك كلمات ذكرناها وردت على تلك القاعدة لكنها ليست قاموسية وانما هي مولدة استعملها المولدون متأثرين بالقاعدة من حيث لا يشعرون وهي :

(١٧) مسخرة تمسخر عليه
(١٨) ملعون تملعن
(١٩) مشيخة تمشيخ
(٢٠) سلطان تسلطن
(٢١) شيطان تشيطن

هذا ما أحدثه المولدون من الكلمات المراعى فيها قاعدة (توهم الأصالة) اما المعاصرون فهل استفادوا من تلك القاعدة ؟ نعم . فان الشيخ ابراهيم اليازجي استعمل :

(٢٢) كلمة (منطاد) وجمعها على (مناطيد) توهماً ان نون (منطاد) اصلية مع انها زائدة وكان القياس ان يقال (مطاويد) . ثم خرجتُ أنا كلمة جديدة شائعة على الالسنة والأقلام ولاسيما في المعاملات الرسمية وطبقتها على تلك القاعدة وهي كلمة :

(٢٣) أشّر تأشيراً بالهمزة على توهم أصالتها في كلمة (إشارة) وكان القياس ان يقال (شوّر على الكتاب) لا أشر عليه .

هذا ملخص ماجاء في مقالنا السابق . ومازلت مذ ذلك الحين أتتبع الكلمات القاموسية التي وردت مضروبة على غرار تلك الكلمات فعثرت على طائفة منها أحببت جمعها في هذا المقال وتخريجها على قاعدة (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) كما فعلت في كلمات المقال الاول . وبعد ان أسردها آتي على كلمات نستعملها نحن اليوم مخالفين فيها القياس . ثم أستفتي الزملاء بجواز استعمالها بناءً على القاعدة نفسها .

(٢٤) مر في مقالنا السابق (مجلد ٥ ص ٢١٠) ان اصل (سنة) سنو حذفوا واوها وعوضوها تاء فقيل سنة . لكنهم كثيراً مايقفون عليها بالهاء فيقولون (سنه سنه) وبذلك توهموا الهاء أصلية وبناءً على هذا التوهم قالوا في جمع سنه (سنهات) وفي فعلها (سانهه) اي عامله بالسنة كما قالوا (سنوات) و(ساناه) على الأصل .

وأقول هنا انهم كما كانوا يقفون في (سنه) على الهاء حتى ظنوها أصلية كذلك كانوا ينطقون الهاء تاءً فيقولون (سنةٌ سنةً سنةٍ) حتى توهموا ان التاء أصلية وليست مقلوبة عن واو . وتوهمهم هذا جذب طبعهم الى اشتقاق فعل منها واثبات التاء في الفعل : فقالوا (أسنت) مشتقاً من كلمة (السنة) المستعملة في معنى الجدب والقحط لا بمعنى العام . ومعنى أسنت القوم أجدبوا وقحطوا . وكان القياس ان يقولوا (أسنى القوم) بالألف المنقلبة عن الواو الاصلية . نعم هم يقولون أسنى القوم لكن لا بمعنى قحطوا بل بمعنى أقاموا في المكان سنة واحدة . ومن قبيل توهم الأصالة في تاء (سنة) استعمالهم فعلاً لها من التفعّل فيقولون (تسنَّت فلان فلانةً) اي ان فلانة المسكينة أسنتت وأجدبت وقلّ مالها وهي كريمة فافترص فلان اللئيم الكثير المال حالتها هذه فتزوّجها .

(٢٥) (ميسم مياسم) الميسم أثر الكي في الجلد مشتق من (الوسم) الواوي فأصل (ميسم) (موسم) قلبت واوها ياءً لانكسار ماقبلها فاذا جمعتها على القياس قلت (مواسم) بتصحيح الواو . لكنهم قالوا في جمعها (مياسم) ايضاً وهذا بناءً على توهمهم أصالة الياء في (ميسم) كما توهموا أصالتها في (ريح) و(عيد) مذ قالوا (أرياح) و (أعياد) . ولعلهم انما قالوا مياسم في ميسم ابتعاداً عن التباسها بالمواسم جمع موسم وهو اجتماع الناس في أيام مخصوصة .

(٢٦) (زير أزيار) الزير هو الذي يزور النساء ويحب محادثتهن من غير شر . فهو من(زار يزور) الواوي وأصل (زير) (زور) قلبت الواو ياءً لكسر ماقبلها . فجمع (زير) (أزوار) برد الياء الى أصلها . لكنهم لكثرة ماسمعوا كلمة (زير) توهموا ياءها أصلية فقالوا في جمعها ايضاً (أزيار) .

(٢٧) (مُكحلة تمكحل) (المكحلة) بضم الميم اسم آلة للوعاء المعروف الذي يوضع فيه الكحل وقد أنس الناس بكلمة مُكحلة وترددت على أفواههم حتى حسبوا ميمها (أصلية) وحتى قالوا في الفعل منها(تمكحل) اي أخذ مكحلة كما قالوا تمنطق . وقياسه تكحل من دون ميم .

(٢٨) (مولى تمولى) المولى السيد وميمه زائدة لانه مشتق من (ولي) . فكان قياس فعله ان يقال (تولى) فلان علينا . لكنهم توهموا ميم (مولى) أصلية فقالوا (تمولى) علينا و (ما كان فلان بمولى ولقد تمولى) .

(٢٩) (إتّقى تَقى يتقي) فعل (اتّقى الله) اصله إوتقى من الوقاية قلبت الواو تاءً ثم ادغمت التاءآن وقد كثر استعمال (اتقى) حتى توهموا ان تاءه اصلية لامنقلبة عن واو ثم توهموا ان ثلاثيَّ (اتقى) (تَقى) لا (وقى) ومضارعه يتْقي لا يقي . انشد ابن دريد :

جلاها الصيقلون فاخلصوها خفافاً كلها يتْقي بأثْر

وامره (تق) لا (ق) قال الشعبي :

(تَقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خانني في الحج ملتمساً وصلا)

وهكذا زادوا في لغة العرب بناءً على قاعدة (التوهم) فعلاً ثلاثياً هو (تقى يتقي) كقضى يقضي . وجعلوا له مصدراً وهو (تُقىً وتِقاء) واسم مصدر وهو (تقوى) . فكأنه لا واو في اصل المادة بل تناسوها بالمرة . وكل ذلك ناتج عن لزوم التاء في (اتقى) وتوهمهم أصالتها .

(٣٠) (اتّخذ تَخِذ) فعل (اتّخذ) افتعال من الاخذ . واصله إيتخذ ولقد توهموا أصالة التاء في (اتّخذ) من كثرة استعمالها حتى اشتقوا منه فعلاً ثلاثياً مبدوءً بالتاء فقالوا (تَخِذتُ مالاً اذا كسبته وتَخِذتُ زيداً صديقاً) من باب تعب . وجعلوا له مصدراً مبدوءً بالتاء ايضاً فقالوا (تَخَذاً) على وزن (تعباً) .

(٣١) (خنثى خنثاه) خُنثى كحبلى ألفها زائدة لكنهم توهموا أصالتها فاشتقوا من خنثى فعل (خنثاه) كسلقاه اذا صيره كالخنثى ومنه قول المتنبي :

خَنْثى الفحولَ من الكماة بصبغه ما يلبسون من الحديد معصفرا

اي صيّر فحول الكماة خناثى وذلك مذ صبغ دروعهم بعصفر الدم . ولون المعصفر والورس مما يتضمخ به النساء فهم خناثى : بين النساء والرجال .

(٣٢) (مأونة : مان يمون) وزن (مأونة) مَفْعُلة وهي مشتقة من (الأين) بمعنى التعب فأصل (مأونة) (مأيُنة) . والاصح ان كلة (مأونة) مشتقة من (الاون) واصل معناه الشدة والتعب كالاين لكنهم نقلوه الى معنى التكلف للنفقة خاصة . والمأونة هي النفقة التي

يتكلفها رب العائلة تكلفاً . وقد كثرت (المأونة) في استعمالهم حتى توهموا ان ميمها اصلية كالفاء من (فعولة) مع انها هي كالميم في (مفعلة) وبناءً على هذا التوهم اشتقوا من (مأونة) فعلاً ثلاثياً فقالوا (مَأَنه يمْؤُنه) ثم خففوا همزته فقالوا (مانه يمونه) وكان القياس ان يقال بدل (مانه يمونه) (آنه يؤونه) لان اصله الاون او الاين كما مر .

(٣٣) (زيار زيّر) الزيار خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس (أي شفته) ليذل فيتمكن من بيطرته . واصل (زيار) (زوار) بالواو . لكنهم توهموا أصالة يائها لكثرة الاستعمال . وبناءً على هذا التوهم قالوا في فعله (زيّر) البيطار الدابة . اي شدّ جحفلتها بالزيار والقياس فيه زوّر بالواو .

(٣٤) (عيال : أعيَل) عال الرجل عياله يعولهم اذا كفاهم مؤونتهم ويقال في المزيد منه (أعول عياله) بمعنى عالهم . فأعول بالواو هو الاصل والقياس . لكنهم أحياناً يقولون (أعيل) الرجل عياله بالياء مكان (أعول) وهذا منظور فيه الى توهم أصالة الياء في (عيال) الكثير ترددها على الأفواه . مع ان (ياء) عيال مقلوبة عن واو : اذ اصله (عِوال) . قال ابن برّي « كأن (عوال) في الاصل مصدر أريد به المفعول » يريد ان معنى عوال في الاصل هو ان تعول غيرك ثم استعملوه في من تعولهم . وهكذا وجود الياء في (عيال) جعلهم يتوهمون و يشتقون منها فعل (أعيل) اذا كثرت عياله : كما يقولون ايضاً (أعول) بالواو على الاصل . ولعل الذي روّج (أعيل) في الاستعمال أن لأعول الواوي معنى آخر وهو رفع الصوت بالبكاء . فمن ثم استحسنوا ان يقولوا (أعيل) بالياء استناداً الى قاعدة التوهم وخصوا (أعول) الواوي بالعويل .

(٣٥) (قَيْل : أقْيال) القَيل الملك او من كان دون الملك من ملوك حمير : فهو بمثابة (برنس) في لغات الأعاجم . واصل (قَيْل) المخفف (قيّل) مشدد . خففوه مثلما خففوا (ميّت) فقالوا (ميْت) واصل (ميّت) ميوت . فكذلك اصل (قيّل) قيول : فهو مشتق من القول . لان الامير الحميري يقول ما يشاء فينفذ قوله . فاذا جمعوا (قَيْل) المخفف قالوا (أقوال) لان الجموع ترد الاشياء الى اصولها كما يقولون في جمع (ميت) (أموات) . لكن الفصحاء اكثر مايستعملون في جمع (قيْل) (أقيال) بالياء وهذا بالطبع مراعى فيه قاعدة (توهم الأصالة) اي أصالة الياء في (قيل) . ولعل الذي روّج هذا الجمع

وجعله يغلب على (أفوال) هو تجنبهم الالتباس (بافوال) جمع (قَوْل) مصدر قال .

(٣٦) (منارة : منائر) ميم منارة زائدة لان الكلمة مشتقة من النار او النور. فوزن (منارة) مفعلة لا فَعالة . لكنهم توهموا أصالة ميم (منارة) كما اذا كانت مشتقة من (منر) وهذا التوهم جعلهم يعتبرون ألفها زائدة كألف (فعالة) لا أصلية . و يجمعونها على (منائر) بالهمزة لا (مناور) بالواو . فانظر كيف عكسوا : فتوهموا الحرف الزائد (وهو ميم منـارة) أصلياً . والحرف الاصلي (وهو واو منارة : منورة) زائداً . حتى ظهر أثر هذا التوهم في جمع التكسير فقالوا (منائر) بالهمزة . والقاعدة في ذلك ان الواو والياء اذا وقعتا بعد الف تهمزان اذا كانتا زائدتين كياء (فضيلة) في (فضائل) و تبقيان على حالتهما اذا كانتا أصليتين فواو (منارة — منورة) أصلية فيجب ان تبقى على حالها في الجمع . فيقال (مناور) ومع هذا فقد قالوا ايضاً (منائر) على توهم أصالة الميم وزيادة الواو .

(٣٧) (حيّز: تحيّز) الحيّز المكان ويستعملونه أحياناً كما نستعمل نحن اليوم كلمة المنطقة مذ نقول ان البلد الفلاني داخل في منطقة الحرب اومنطقة الثورة مثلاً . والفعل منه تحوّز بالواو لان اصل (حيّز) (حيوز) من حاز الشيء يحوزه اذا ضمه اليه وجمعه . و (الحيّز) يحوز مافي ضمنه . فقياسه تحوّز لاتحيز. لكنهم مع هذا قالوا (تحيز) على توهم أصالة الياء في حيّز .

« هذه ثلاثة عشرة كلمة عثرت عليها أخيراً وأضفتها الى الكلمات التي أودعتها مقالي الاول .

وكما زدت في مقالي الاول فعل (أشّر تأشيراً) وطبقته على قاعدة (توهم الاصالة) و (انجذاب الطبع) واستحسنت تجويز استعماله — أحب في مقالي هذا ان أسرد خمس كلمات أطبقها على القاعدة المذكورة وهي :

(٣٨) سيد : تسيّد) سيّد أصله سيود من (ساد يسود) الواوي فاذا أراد العرب ان يقولوا صار فلاناً سيداً قالوا (تسوّد فلاناً) وهذا هو القياس كتحوّز من الحيز. لكنهم قالوا ايضاً (تحيّز) بالياء على توهم أصالة الياء في الحيز كما مر. فلم لا يطاوعني الرفاق فنقول (تسيّد فلان) أي صار سيداً. كما قالوا (تسوّد) . وذلك بناء على توهم أصالة الياء في (سيد) كما توهموا هم أصالتها في (حيّز) . ثم نخصص (تسوّد) — بالشيء

الذي صار أسود كما مر في تخصيص فعل (أعول) بالعويل وجعل (أعيل) للعيال . ولم لاأشايع على ذلك . واننا نرى الناس اليوم يستسهلون ان يقولوا (تسيّد) اي صار سيداً . ولا يفهمون من (تسوّد) الا معنى اسودّ أي صار أسود .

(٣٩) (رياضة : تريض) أصل رياضة رواضة بالواو لانها مصدر راض الدابة يروضها فالفعل منه (تروّض) وهو القياس لكنهم يقولون اليوم (تريّض) بالياء . فلما ذا لانجيزلهم ذلك كما جاز في (أعيل) مستندين الى قاعدة (توهم الاصالة) أي أصالة الياء في رياضة . ويحق لنا هذا التوهم لكثرة ما نستعمل كلمة رياضة استعمالاً مستفيضاً على أطراف ألسنتنا وأسنة أقلامنا .

(٤٠) (مختار : مخاتير) التاء في (مختار) زائدة كما لا يخفى . فالواجب اذاً حذفها في جمع التكسير فيقال (مخايير) وهو الأصل . لكن كثرة استعمال كلمة (مختار) مراداً بها شيخ الحارة او شيخ القرية الذي ترجع اليه الحكومة في أمورها — هذه الكثرة جعلتنا نتخيل ان تاء (مختار) أصلية . ولذا انجذب طبعنا الى إثباتها في جمع التكسير فنقول (مخاتير) بالتاء . كما أثبت العلامة اليازجي النون في (مناطيد) مع ان القياس والاصل أن يقال (مطاويد) ولا أكلف نفسي عناءً في استصدار فتوى من الزملاء بجواز استعمال (مخاتير) فان فتواها معها وقد أعلنتها على ألسنة جميع الناس وأيّدت ذلك معاملات الحكومة .

(٤١) (مسمار : تمسمر) ميم (مسمار) زائدة لان اصله اسم آلة من (سَمَر) الشيء (بالتخفيف) وسمّره (بالتشديد) شدّه بالمسمار . لكننا من كثرة استعمال (مسمار) حسبنا ميمه أصلية . وجعل الناس يقولون (مسمَره) كما يقولون (تمسمر) فلان في مكانه اذا ثبت ولم يتحلحل . وكان القياس ان يقال (تسمَّر) في مكانه من دون ميم في اوله . لكننا توهمنا أصالتها في(مسمار) فأجريناها في تمسمر . وهذا كما فعل مَن قبلنا في (تمسخر وتملعن وتمشيخ) مذ توهموا ان الميم أصلية في مسخرة وملعون ومشيخة .

(٤٢) (مركز : تمركز) ميم (مركز) زائدة : اذ هو اسم مكان من(ركزه) اذا غرزه وأثبته في الارض . والمراكز منابت الاسنان . وشاعت كلمة (مركز) في زماننا لمعان مختلفة حتى حسبنا ميمها أصلية . ولذا اشتققنا منها فعلاً وقلنا (تمركز) اي ثبت واتخذ لنفسه

مركزاً . وكان القياس ان يقال تركّز . غير ان توهّمنا أصالة ميم (مركز) جعلنا نقول (تمركز) كما قال العرب تمكحل مذ توهموا الميم أصلية في (مكحلة) .

هذه هي الكلمات الخمس التي أرى تجويز استعمالها وان نستفيد من قاعدة توهم الأصالة.

وأختم البحث بتقرير كلمتين ارى ان أطبقهما على القاعدة المذكورة وأخالف ابن جني وسيبويه فيما ذهبا اليه من امرهما . وهما :

(٤٣) (صاغ يصوغ صوغاً) واسم الفاعل (صائغ) بقلب الواو همزة . والمبالغة (صوّاغ) بالواو المشدّدة . لكنهم قالوا ايضاً في المبالغة (صيّاغ) بالياء المشددة المقلوبة عن واو . ولا موجب لقلبها . غير ان ابن جني علل القلب بكراهة التقاء الواوين . فنقول له : ولما ذا لم يكرهوا التقاء الواوين في (جوّال) مثلاً فيقولوا (جيال) . وعندي ان السبب في قولهم (صيّاغ) قول العرب في مصدر صاغ (الصياغة) بقلب الواو ياء وقولهم في اسم الفاعل منه (صايغ) بتسهيل الهمزة ياء . وقد كثر استعمال كلمتي (صياغة) و (صايغ) في كلامهم كثرة جعلتهم يتوهمون ان الياء اصلية فيهما ثم جذبهم توهمهم هذا الى ان يقولوا في المبالغة (صيّاغ) بالياء على خلاف القاعدة كما قالوا (صوّاغ) بالواو على القاعدة .

ومثله في ذلك (نام نوماً) واسم الفاعل (نائم) واصله (ناوم) وجمع نائم (نُوّام) بواو مشددة وهو الاصل . لكنهم قالوا ايضاً في جمع نائم (نُيّام) بياء مشددة . قال الشاعر :

(ألا طرقتنا ميّة ابنة منذر فما أرّق النُيّام إلا سلامها)

وكذلك نسمعهم يقولون في جمع (نائمة) (نوّم) بواو مشددة على الاصل و (نُيّم) بقلب الواو ياء على خلاف الاصل . واري انه لا داعي لهذا القلب في (نُيّم) ولا في (نُيّام) سوى توهمهم اصالة الياء في (نايم) و (نايمة) مذ ينطقونهما هكذا بياء ين مسهّلتين عن الهمزة .

(٤٤) (فتى : فتوان) ألف (فتى) منقلبة عن ياء لان فعله (فتي يفتى) على وزن (بلي يبلى) فالقياس ان يقال في تثنيته (فتيان) وفي جمعه (فتية) لكن أهل اللسان كما نطقوا بذلك على الأصل خالفوه وقالوا في المثنى (فتوان) وفي الجمع (فتوة) بالواو في الكلمتين . فما الداعي الى ذلك ومن اين جاءت هذه الواو ؟ أجاب سيبويه عن هذا بان إبدال الواو في ذلك شذوذ . أما انا فأرى ان استعمالهم (فتوان) و (فتوة) بالواو بدل الياء مبني على القاعدة السمحة : قاعدة (انجذاب الطبع) وتوهم أصالة الواو في كلمة (فتوّة) التي

هي مصدر (فتي يفتى) اليائي . وقد تولدت (الواو) في(فتوة)— مع ان فعلها يائي — بعامل صرفي : ذلك انهم بنوا من فعل (فَتِي) اليائي مصدراً على وزن (فعولة) كما قالوا (طفولة ورجولة ومروءة) من (طفل ورجل ومرء) فكان (فُتويِة) : ففي هذا البناء اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الياء واواً وأُدغمت في الواو الزائدة . فأصبح المصدر (فتوّة) . او نقول في إعلال (فتويِة) ان الواو قلبت ياءً كما هو المشهور في القاعدة فصارت (فُتُيِّة) ثم قلبت الياء المشددة واواً مشددة لانضمام التاء قبلها اذ القاعدة ان الياء اذا كان قبلها ضمة تقلب واواً فصارت (فتوّة) . ثم ان كلمة (فتوة) شاعت ورددتها الافواه وغلبت في الاستعمال على المصدر الآخر وهو (الفَتاء) وبذلك توهموا ان واوها أصلية . وبعد ان استحكم هذا التوهم سهل عليهم ان يقولوا في مثنى فتى (فَتَوان) كما قالوا فتيان وفي جمعه (فتوة) كما قالوا (فتية) وفي جمع فتاة (فتوات) كما قالوا (فتيات) والمخلص القول ان اجراء (فتوان) و (فتوة) و (فتوات) على قاعدة (توهم الأصالة) خير لنا من ان نقول كما قال سيبويه — ان ذلك شذوذ . لان القول بالشذوذ يؤدي الى عدم قبول كلمات جديدة . بخلاف القول بقاعدة (توهم الأصالة) فاننا نستفيد منه تصحيح كثير من الكلمات التي قد نحتاج اليها في المصطلحات الحديثة .

« المغربي »

جامع التواريخ

المسمى بنشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة



حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيي بن زكريا بن شيرزاد الكاتب قال لما تقلد ابي ديوان الضياع المعروفة بغريب الخال (١) استخلف اخي ابا الحسين زكريا بن يحيي على الديوان وأجرى له عشرين ديناراً في الشهر وأجرى عليّ عشرة دنانير برسم التحرير في هذا الديوان فأنفت من ذلك ولم اقبل الرزق ولا العمل . ومضيت الى ديوان ضياع الخاصة. وكان يليه اذ ذاك ابو حامد محمد بن الحسن الملقب بسودانية فلم القه ولا توسلت اليه بما كان بين ابي و بينه. ولزمت الديوان بحضرة ابي يوسف عبد الرحمن ابن محمد بن سهل المعروف بالمرمد . واليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان مدة شهر وكنت أتعلم. فبلغ اباحامد خبري ولم اكن اذ ذاك بلغت عشرين سنة ولا قاربتها. فاستحضرني فدخلت اليه فعتبني على تركي الدخول اليه والتعرف اليه. وامرني بملازمة حضرته واجرى لي درجين وثبتاً وقرطاساً في كل يوم وقال سود فيها وتعلم الخط . فلما كان بعد ايام فرقت ارزاق الكتاب لشهر واحد فوقع الى خازنه المتولي للتفرقة أن يحمل اليّ بقيمة عشرين ديناراً ثلاثمائة درهم . وقال قد اجرى لك هذه في كل شهر. فصرت الى ابي فأريته

«١» م . ع لم نعثر على ضياع بهذا الاسم .

اياهاوقلت قد فعل الله بي خيراً مماقعلت. فقال خذالان العشرة والزم موضعك ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر. فاخذتها وكان هذا اول اقبالي .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لماأنفذ ابي الى مصر اجتديت(١) البحتري وابامعشر فكنت آنس بهمالوحدتي وملازمتي البيت وكانا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماًانهما اضاقا في وقت من الاوقات اضاقة شديدة وكانامصطحبين فعرض لهما ان يلقيا المعتز وهو محبوس و يترددان (٢) اليه و(لا) يوصلان عنده اصلا فتوسلا اليه حتى لقياه في حبسه. قال فقال لي البحتري فأنشدته ابياتا كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري لماحبس وجعلتها اليه وهي(٣)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك ... من الحادث المشكو والحدث المشكي

ومـا هـذه الايام الا منـازل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وانمـا ... صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

اما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوساً على الظلم والافك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة ... فآل به الصبر الجميل الى الملك

على انه قد ضيم في حبس العلى ... واصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات ودفعها الى خادم كان معه وقال غنها واحتفظ بها فان فرج الله عني فاذكرني بها لاقضي حق هذا الرجل. قال ابو معشر وكنت

«١» م ، ع لعلها محرفة عن اجتبيت . «٢» م ، ع لعل اصل العبـارة : وجعلا يترددان اليه ولا يوصلان عنده اصلا فتوسلا اليـه . «٣» راجع ديوان البحتري (مصر ١٣٢٩ — ٢ : ١٥٤).

قد اخذت مولده وعرفت وقت عقد البيعة للمستعين ووقت البيعة بالعهد من المتوكل للمعتز ونظرت فيه وقد صححت النظر وحكمت له بالخلافة بعد فتنة وحروب وحكمت على المستعين بالخلع والقتل فسلمت ذلك اليه وانصرفنا . قال وضربت الايام ضربها(١) وصح الحكم باسره فدخلنا جميعاً الى المعتز وهو خليفة وقد خلع المستعين وكان المجلس حافلا قال ابومعشر فقال لي المعتز : لم انسك وقد صح حكمك وقد اجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً وثلاثين ديناراً نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وامرت لك عاجلا بالف دينار صلة. قال فقبضت ذلك عاجلا كله في يومي قال البحتري وانشدته انا في ذلك اليوم قصيدي التي مدحته بها وهنأته وذكرت خلع المستعين واولها :

يجانبنا(٢) في الحب من لا نجانبه ويبعد عنا في الهوى من نقاربه

حتى انتهيت الى قولي :

وكيف رأيت الحق قر قراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه

ولم يكن المغتر بالله اذ شرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبي مناكبه

وقد سرني ان قيل وجه مسرعاً الى الشرق تحدى سفنه وركائبه

الى واسط(٣) نحو الدجاج ولم يكن لينشب الا في الدجاج مخالبه

فضحك واستعاد هذه الابيات مراراً فأعدتها فدعى (٤) بالخادم وطلب الرقعة

«١» م . ع المعروف ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ومن ضربه . «٢» راجع الديوان ١ : ١٧ . «٣» في الديوان الى عسكر . «٤» م . ع دعى يدعي لغة في دعا يدعو.

التي فيها ابياتي التي انشدته اياها في حبسه. فأحضره اياها بعينها فقال قد امرت لك بكل بيت في الرقعة بالف دينار وكانت ستة فأعطيت ستة آلاف دينار وقال لي كأني بك وقد بادرت فاشتريت غلاماً وجارية وفرساً وفرشاً واتلفت المال لا تفعل. فان لك فيما تستأنفه من ايامك معنا مع وزرائنا واسبابنا اذا علموا موقعك منا غناء عن ذلك فاشتر بهذا المال ضيعة ببلدك تقوم في ادناها فترى اقصاها ويبقى لك اصلها وتنتفع بغلتها كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصله به عبد الله بن جعفر فقلت السمع والطاعة وخرجت فعملت بما قاله واعتقدت بالمال ضيعة جليلة بمنبج ثم تأثلت حالي معه واعطاني وزاد وماقصر .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح بن جعفر بن محمد بن الفرات بعد عوده من مصر والشام في ايام الراضي وتقلد الوزارة قال اجتزت في رجوعي هذا الى مدينة السلام بمنبج فرأيت ضياعاً في نهاية العمارة والحسن فسألت عنها فقيل هي اقطاع البحتري الشاعر واملاكه فقلت لمن(١) هي اليوم فقيل لي هي اليوم في يد ابن ابنة ابنه ابي الغوث فقلت هذا نسب طويل وامرت الحسن بن ثوابة بقبضها فلما كان من الغد جاءني رجل متكهل (٢) في زي الجند وذكر انه صاحب الضياع وقال ياسيدي هذه الضياع التي قال جدي البحتري بسببها(٣) .

وما انا والتقسيط اذ تكتبونه ويكتب قبلي جلة القوم او بعدي

وانشدني هذه الابيات كلها وقال ذاك بكاء لاجل تقسيط يسير فكيف

«١» بالاصل : من . «٢» م . ع لعله مكتهل . «٣» راجع الديوان ١ : ٢٠٠

يكون حالي اذا قبضت هذه الضياع ؟ قال فتذممت ان اكون سبب ذهاب معيشته فاطلقت له عنها .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح قبل تقلده الوزارة الاولى بمدة طويلة قال حدثني ابي قال صرفت محمد بن سيف العامل عن بادوريا وتقلدتها فاستدركت عليه اشياء كثيرة وطالبته بها فلم يرد فيها شيئاً. فأخرجته يوماً الي وناظرته فأقام على امر واحد فاغتظت عليه وامرت بصفعه فلم يتأوه ولم يزل يصيح واحدة فاذا صفع اخرى قال ثانية على هذا الى ان صفع ثلاث عشرة صفعة. فتعجبت من عدده وقلت هذا(١) له ويحك اي فائدة لك في العدد وان لا تستعفي قال انا اعدد ذلك اعزك الله لاصفعك بعدده بعد ايام اذا صرفتك وتقلدت مكانك فلا اظلمك بالزيادة ولا افوز بالنقصان قال فأخجلني فقلت قم في غير حفظ الله الى منزلك فأطلقته وذهب المال .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا نفطويه قال حدثنا ثعلب قال : كان عندنا في الحربية جمال(٢) مستور يوصف بالزهد وكان لا يحمل لاصحاب السلطان شيئاً وكان اذا حمل بقدر قوته على ضيق لم يزدد عليه شيئاً واراح نفسه ولا يحمل الاكارة(٣) خفيفة مثل لحم وفاكهة(٤) وما يكون قدره خمسين رطلاً او نحوه قال فاتبعته يوماً وهو لا يعلم اني خلفه فرأيته يضع رجلا و يقول الحمد لله ويرفعها ويقول استغفر الله فقلت له لم تفعل هذا؟ فقال انا بين نعم الله

«١» لعله : من عدده هذا وقلت «٢» م . ع كذا في الاصل . ولعله . حمال مستور . والحربية محلة ببغداد منسوبة الى حرب بن عبد الله البلخي احد قواد المنصور .
«٣» م . ع الكارة مقدار معلوم من الطعام . «٤» بالاصل فاهه .

وذنوب فانا احمده عز وجل على نعمه واستغفره من ذنوبي فاردت امتحانه فقلت : ما تقول في علي وابي بكر ايهما افضل ؟ فقال اذا نشرت الدواوين ووضعت الموازين أأسئل عن ذنوبي ام عن تفضيل ابي بكر وعلي ؟ فقلت بل عن ذنوبك فقال فلي في نفسي شغل عن معرفة الافضل منهما .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال سمعت حامد بن العباس يقول مافي الدنيا اضر على الانسان من مداجاة العدو وينبغي ان تشهر ما بينك وبين عدوك حتى لا يقبل قوله فيك قال وسمعته يقول: ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير . فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلا حراً . فاحسنت اليه وبررته وكنت اعتمد على عناية ابي العباس بن الفرات وكان البواب قديم الخدمة لاسماعيل يدخل الى مجلس الخاصة ويقف بين يديه فلا ينكر ذلك خدمه عليه لسالف الصحبة فصار اليّ في بعض الليالي فقال قد حرد الوزير على بن الفرات وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته ويهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأي ؟ فقال اكتب رقعة الى رجل من معامليك يعرف شحه وضيق نفسه والتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها واسأله ان يجيبك على ظهر رقعته لترجع اليك فتخرجها فانه لشحه وسقوطه يردك بعذر واحتفظ بالرقعة فاذا طالبك الوزير اخرجتها اليه وقلت قد افضت حالي (الى) هذا واخرجتها على غير مواطأة . فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قاله

وجاءني جوابه بالرد كما حسبنا فشددت الرقعة معي فلما كان من غد اخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة واقرأته اياها ورققته وتكلمت فلان واستحيا وكان ذلك سبب خفة امري وزوال نكبتي فلما تقلدت في ايام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب واجتذبته الى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين ديناراً كل سنة وهو باق معي الى الآن .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي عن جدي عبدالله بن هشام قال حدثني يحيى بن عبدالله الكسكري (١) قال كنت اكتب لابن البختري الاصغر على مصر . فصرف بسليمان ابن وهب وخرج معه ابنه عبيد الله وكان يخالفه عليها فجلس «٢» العامل بن البختري لرفع حسابه وخلوا النظم الحساب وكنت اغدو واروح الى سليمان اعرض عليه ما اعمل وكان قد وكل بابن البختري قائداً من قواد مصر معه عدة من الفرسان والرجالة والغلمان وكان ابن البختري يقيم لهم الطعام الواسع وحضر المهرجان فتقدم بان يحضر قدر نبيذ ويعمل فيها الهريسة في الدار التي كان فيها معتقلا وكان قصيراً ضئيلا فجاءوا له بالقدر وطبخ فيها الهريسة في جملة الطعام واكل الموكلون وشربوا وسكروا وعمل هو الحيلة فجلس في القدر وغطيت عليه وأخرجت ولم يعرفوا خبره حتى طلبوه لما افاقوا فلم يجدوه . قال يحي بن عبدالله ولم اكن انا عرفت الخبر فبكرت الى سليمان على رسمي فوجدت عبيدالله جالساً متشاغلا بطلبه وقدصح «٣» وهو

«١» م . ع كسكر كجعفر كورة قصبتها واسط . «٢» لعله : فحبس .
«٣» م . ع كذا في الاصل . ولعله ضج .

فيقال فينا كيف يحفظها ولا الاموال (١) والاعمال مع عجزهم عن حفظ محبوس وجعل يضرب الناس في التقرير عليه وامر بالقبض علي لما رآني فقلت له اعزك الله لو كان عندي علم بالخبر ماجئتك قال فصدق قولي وكان حضوري سبب خلاصي قال ووقع في يده وكيل نصراني لابن البختري يتوكل في مطبخه وكان نبطياً (٢) وقيل له انه لا يجوز ان يخفى عليه خبره فجعل يضربه وكان في المجلس سليمان بن وهب واصحاب البرد والاخبار والناس باجمعهم وكنت احسن بالنبطية (٣) ولم يكن عبيدالله يحسنها فلما حمي الضرب على الوكيل كاد ان يقر على موضع ابن البختري ففهم ذلك سليمان ولم يحب ان يامره بالانكار فيكتب بالخبر واراد ان يسلم المنكوب سلوكا المذهب الناس قديماً في طلب السلامة بالابقاء على اعدائهم قال فقال للمضروب كلاماً بالنبطية تفسيره لا تقر فان الاقرار مثل القبر لا ينقلع قال فتصبر الرجل على الضرب ثم قال سليمان لعبيدالله الى كم تضرب هذا البائس لوكان يعرف شيئاً لقاله اقطع عنه الضرب لا يتلف فندخل في دمه قال فرفع الضرب عنه واطلق من يومه وأفلت المستتر

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن عبد الملك التاريخي قال حدثنا المبرد قال حدثني الحسن بن سهل لما اسن وجلس في بيته قال

«١» لعله : يحفظون الاموال . م . ع : لعل الاصل يحفظ هؤلاء . «٢ م . ع لعله قبطيا لان الحادثة وقعت في مصر .

«٣» م . ع لعل الباء زائدة اوسقط لفظ التكلم اونحوه .

دخلت يوماً الى المأمون وهو جالس وبحضرته جماعة من خواصه منهم اسحاق ابن ابراهيم بن مصعب وكان في يده كتاب يقرأه فلم ينظر الي فوقفت قائماً فقال له اسحاق يا امير المؤمنين ابو محمد الحسن بن سهل فقال لي اقعد فقعدت فقال احضر دواتك فاحضرت فقال وقّع بتقليد اسحاق بن ابراهيم جميع اعمال المعاون بالسواد جزاء له على ما نبه عليك (١) من تكرمتك يا ابا محمد فشكرته ودعوت له ووقعت بذلك .

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن احمد الداري الصيدلاني البصري قال انشدني ابو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي الضرير المعروف بالبصير لنفسه :

واحربا ما الذي لقيت انا احمل في كل بلدة شجنا
ادخلها وادعاً فتجلب لي رقة قلبي من اهلها سكنا

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال رأيت بعمان شيخاً من الخوارج قد دخل في يوم جمعة من ناحية بلد الشراة الى السوق بعمان وكانت طريق الناس الى الجامع والناس يتعادون الى حضور الجمعة خوفاً من فوتها والخارجي ماش الهوينا (٢) في حاجته لا يراعي امر الجمعة فاذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع فالتقيا فقال الشيخ للخارجي وهو لا يعرفه وقدرانه يريد الجامع الى اين تمضي يا شيخ وقد صلى الناس وفاتتك الصلاة فقال الخارجي يا ابله اغافات من ادركها يريدان التجمع معهم لا يسقط الفرض الذي

«١» لعله عليه . «٢» م . ع كذا في الاصل . والصواب الهويني .

هو الظهر وهو اذ جمع معهم ترك الظهر فتفوته الصلاة الواجبة وهي الظهر ويصلي مالا يجدي عنه في مذهبه من تكفيرهم . قال ولم يفهم الشيخ ماسمعه وقلت انا للخارجي اظنك اعزك الله شاريا قال فقال نعم والحمد لله قال وهم يستحبون ان يقال لهم شراة ويأبون ان يقال لهم خوارج ويذهبون الى قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية)

حدثني ابو الحسن علي بن نطيف البغدادي المعروف بابن السراج المتكلم المعروف بالبهشمي «١» قال كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد شيخ الامامية يعرف بابي بكر بن الفلاس وكان طيباً فحدثنا يوماً انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع . ثم صار يقول بمذهب اهل التناسخ قال فوجدته وبين يديه سنور اسود وهو يمسحها «٢» ويحك بين عينيها ورأسها وعينها تدمع كما جرت العادة في السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديداً فقلت له لم تبكي؟ فقال ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه امي لا شك وانما تبكي من رؤيتها لي حسرة. قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم عنه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا. قال فقلت له وانا معتقد الطنز به : فهي تفهم ما تخاطبها به؟ فقال نعم فقلت له افتفهم انت عنها صياحها؟ فقال لا فقلت له فانت اذاً الممسوخ وهي الانسان .

كتب محمد بن عيسى احد كتاب زماننا «٣» بتعزية الى صديق له قرأته

«١» م . ع البهشمي نسبة الى البهشمية وهي طائفة من المعتزلة تنتمي الى ابي هاشم الجبائي.
«٢» م . ع السنور الهر والانثى سنورة فالصواب اعادة الضمير عليه مذكراً او تأنيث السنور . «٣» لعله سقط كتاباً .

بخطه فاستحسنت منه صدره. وذ خته «من سره امتداد عمره. ساءته فجائع دهره. بفقد حميم. اوطارق هموم. عادة للزمان معروفة وسنة للحدثان مألوفة. واحق من سلم للاقضية والاقدار. من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار. فان اصابته مصيبة تلقاها مسلماً اوتأتيه«١» وجدته محتسباً»

كتب الي عمرو بن محمد بن الاشعث «شاب ورد من عمان مجتازاً بواسط ذكر انه كان من الجند فيها فزالت نعمته وهرب حين ملك الديلم عمان ابياتاً في آخر رقعة له اقتضاني فيها ثواب مديح كان اسلفنيه وهو:

مات الرجاء بغيظه فلك البقا ولربما افضى النعيم الى الشقا

فان احترقت فمن تلهب حادث لاقل منه تلهباً ان يحرقا

ان كان عود الجود جف فانه لم يسق ماء نداك حتى اورقا

واردت منك اذا حرمت مطالبي تسعى معي فلعلني ان ارزقا

حدثني ابو علي المنتاب قال حدثني ابي قال كنا مع حامد ابن العباس في ولايته يوماً جلوساً في الخيش بواسط في النصف الاخير من تشرين الثاني لشدة الحر فجاء البرد في ليلة فاصبحنا من غد وقد لبسنا الخزوز والمحشو وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدة الحر وشدة البرد في ليلة واحدة.

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن اسماعيل بن سايدة الواسطي قال سمعت بعض شيوخنا يحكي عن ابراهيم الحربي انه قال: في العافية طعم كل شيء وفي الرزق نصر كل شيء.

«١» م. ع هكذا في الاصل ولعله تأتيه.

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال سمعت القاضي اباجعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي الانباري يحدث ابي وقدجئت اليه ومعي تهنئة بعيد اضحى فحدث احاديث فقال حدثني ابو حازم القاضي قال كان في حجري ايتام ذكور واناث خلفهم بعض العمال فرددت امانتهم الى بعض الشهود فصار اليّ الامين يوماً وعرفني ان عامل المستغلات ببغداد الذي يتولى مستغلات السلطان وعامل بادوريا قدادخلا ايديهما في املاك الايتام وذكرا ان الوزير عبيد الله بن سليمان امرهما بذلك عن امير المؤمنين المعتضد فصرت الى المعتضد في يوم موكب فلما انقضى الموكب دنوت منه وشرحت له الصورة فقال لي يا عبد الحميد : هذا عامل خانني في مالي واقتطعه ولي عليه مال جليل من نواح كان يتولاها من ضيعتي خاصة ومالي عليه بضعف هذه الاملاك التي خلفها . فقلت يا امير المؤمنين ماتدعيه عليه يحتاج الى بينة وقدصح عندي ان هذه الاملاك املاكه يوم مات ولا طريق الى انتزاعها من يد وارثه الا ببينة بالمال. هذا حكم الله تعالى في البالغين. فكيف في الاطفال؟ قال فسكت ساعة مطرقاً ثم دعا بدواة ووقع بخطه الى عبيدالله بن سليمان بالافراج عن الضياع.

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان يخاف ابا نوح عيسى بن ابراهيم على ديوان الضياع . حدثه انه كانت في يد صاعد بن مخلد ضمانات كثيرة وكانت اليه معاملة مع ابي نوح وكان صاعد اذ ذاك من وجوه الناس ولم يكن بلغ المبالغ الكبار فحضر عنده(١) صاعد

«١» بالاصل عند .

اول خلافة المعتز ونحن حضور فطالبه ابو نوح باموال وجبت عليه وجرت بينهما مناظرات ادت الى ان تنطع في الجواب فاغتاظ ابو نوح فاغضبه. فرد عليه صاعد مثل ما قاله له فاستعظم الناس ذلك فاستخفوا به وقالوا يا مجنون ويا جاهل قتلت نفسك قم قم فاقاموه وخلصوه من ان يفتك به ابو نوح في الحال. وقالوا هذا مجنون ولم يدر ماخرج من فيه. وانصرف صاعد الى منزله متحيراً لا يدري ما يعمل فيماقد نزل به. فحدث اخاه عبدوناً بما جرى فقال له ان لم تطعني فأنت غداً مقبوض عليك مطالب من المصادرة بما لا يفي به حالك ولا حال من عرفك من اهلك ومقتول بلاشك تشفياً منك. قال وما الرأي ؟ قال كم عندك من المال الصامت العتيد واصدقني عن جميعه. قال خمسون الف دينار قال تسمح نفسك ان تتعرى منها وترمي بها كأنها لم تكن وتنقذ نفسك وتحرس دينك وما بقي من حالك وضياعك وعقارك فتصير من اجلاء الناس او لا تسمح بذلك فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع وتذهب الضيعة والنعمة كلها وتذهب النفس. قال ففكر طويلا ثم قال قد تعريت عنها في عز نفسي. قال اعطني منها الساعة ثلاثين الف درهم. قال خذ. فاخذها وجاء الى حاجب موسى بن بغا وقت عتمة وقال له هذه عشرة الآف درهم خذها واوصلني الى فلان الخادم . قال وكان هذا الخادم يتعشقه موسى جداً ويطيعه في كل امره وموسى اذذاك هو الخليفة وكتبته(١) كالوزراة والامور في يديه والخليفة في حجره . قال فأخذ الحاجب المال واوصله الى الخادم

«١» م . ع الكتبة بكسر الكاف الكتابة كالإمرة والإمارة .

فاحضره العشرين الالف(١) درهم الباقية وقال هذه هدية لك وتوصلني الساعة الى الامير وتعاونني في حاجة اريد ان أسأله اياها ومشورة أريد ان أشير عليه بها . فاوصله الخادم فلما مثل بين يديه سعى اليه بكتّابه وقال قد نهبوك واقتطعوا مالك واخربوا ضياعك واخي يحمل كتبتك اجل من الوزارة ويتغلب لك على الامور ويوفر عليك كذا ويفعل كذا ويحمل اليك الليلة من قبل ان ينتصف الليل خمسين الف دينار عيناً هدية منه لك لا يريد عليها مكافاة ولا يرتجعها من مالك وتستكتبه وتخلع عليه غداً سحراً . قال فقال له موسى افكر فقال ليس هذا موضع فكر والح عليه قال وقال له الخادم(٢) في الدنيا احد جاءه هذا المال العظيم دفعة واحدة فرده وكاتب بكاتب والمال ربح . قال فأجابه وصافحه فقال له فتنفذ الساعة من يحضرك اخي وتشافهه بذلك . وانفذ من احضره وبات عندهم في الدار وقلد موسى كتبته لصاعد في الحال وامره بالبكور اليه ليخلع عليه وتقدم الى النقباء بان يباكروا الرجل ليركبوا معه . قال وبكر صاعد وليس عند احد له خبر فخلع عليه موسى بن بغا الكتبة وركب الجيش على بكرة ابيهم وانقلبت سرّ من رأى بظهور الخبر فبكر بعض المتصرفين الى الحسن بن مخلد وكان صديقاً لابي نوح فقال له قد خلع على صاعد . فقال لاي شئ فقال تقلد كتبة موسى بن بغا فاستعظم ذلك . وقال ثيابي قال فأحضرت فلبس وركب الى ابي نوح فقال له عرفت

«١» م . ع كذا في الاصل بتعريف العشرين والالف والافصح تعريف الدرهم وحده .

«٢» م . ع لعله سقط « همزة » او « ما » .

خبر صاعد؟ فقال نعم. الكلب. وقد بلغك ما عاملني به؟ والله لافعلن به ولاصنعن. قال انت نائم ليس هذا اردت. قد ولي الرجل كتبة الامير موسى بن بغا وخلع عليه الساعة وركب الجيش معه باسرهم الى داره فقال له ابو نوح: هذا ما لم نظنه: بات خائفاً واصبحنا خائفين منه. فما الذي عندك فقال له انا اصلح بينكما الساعة قال فركب الحسن بن مخلد الى صاعد وهناه واشار عليه ان يصالح ابا نوح وقال له وانت بلا زوجة وانا اجعلك صهره وتعتضد به فانك وان كنت قد نصرت عليه فهو من يعلم موضعه ومحله ويجمل بمصاهرته ومودته وانت حبيب على الرجل. قال ولم يدعه حتى اجاب الى الصلح والصهر فقال له فتركب معي اليه فانه هو ابو الابنة والزوج يقصد المرأة ولولا ذاك لجاءك. قال فحمله من يومه الى ابي نوح واصطلحا ووقع العقد في الحال بينهما وزوج ابو نوح في مجالسة ذلك ابنته الاخرى بالعباس بن الحسن بن مخلد فولدت له ابا عيسى المعروف بابن بنت ابي نوح صاحب بيت مال الاعطاء ثم تقلد ديوان زمام الجيش لعمه سليمان بن الحسن وكان اصغر سناً من ابيه فكانت كتبة صاعد لموسى ومصاهرته لابي نوح اول رتبته العظيمة التي بلغها ثم تقلبت به الحال حتى ولي الوزارة.

« للبحث صلة »

المحاضرة الرابعة

تاريخ الادب

أما وقد أوجزت في الكلام على الادب وتدريسه ، وعلى الذوق وتثقيفه ، ولمّحت الى تمازج الثقافات ، فبينت دون شيء من الإسهاب كيف يأخذ بعض الامم عن بعض ، و يقتبس بعضها من بعض ، فيزيد هذا الاقتباس في عبقرية البشر ، اما وقد فرغت من هذا كله ، فقد لزمني على ما أعتقد ان أخوض في الموضوع الذي انتدبت اليه وهو تاريخ الأدب ، وما تاريخ ادب العرب الا تسلسل قرائحهم وبنات افكارهم من يوم ظهر هذا الشعب الكريم على وجه الارض حتى يومنا هذا ، ماتاريخ الادب في الحقيقة الا سلسلة آثار ، اذا نظرنا اليها وجدنا فيها سلاسل شتى : سلسلة آثار مؤلف من المؤلفين ، سلسلة آثار عصر من العصور ، سلسلة آثار تطور الادب في خلال القرون الخالية ، ماتاريخ الادب الا النظر في تأثير بعض المؤلفات في بعض واتصال بعضها ببعض وتسلسلها في تعاقب الاحقاب ، هذا هو تاريخ الادب ومن هذين السطرين يتبين لكم حرج الموضوع وضيق مذاهبه ، وتبدو لكم سعة مجاله وترامي اطرافه في وقت واحد ، اما حرج الموضوع فانه ناشيء عن فقدان ما يجب علينا ان نتوسل به من الوسائل الى معرفة قرائح العرب ونتائج عقولهم على حسب روح هذا العصر ، واما سعة المجال فحسبكم ان تجدوا في تاريخ ادب العرب صور ناطقة تفصح لكم عن اطراد آثار عبقر يتهم في مطاوي الاحقاب .

ما طالعت مقدمة من مقدمات تاريخ الادب الفرنسي الا وقع نظري على عبارة تدخل الخوف على قلب من يتفرغ لتدريس تاريخ الادب حتى يتهيب الموضوع فيكاد يمسك عن الكلام لدهشه وتحيره ، فقد وجدت في احدى المقدمات هذه العبارة : تاريخ الادب الفرنسي انما هو نتيجة حياة باجمعها او تكفي حياة باجمعها حتى يتم مثل هذا التاريخ ، واذا انتظر المؤرخ نتائج بحثه وتنقيبه ليشرع في موضوعه ، أفيكتب هذا التاريخ

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على انه يجب على المؤرخ ان يعمل على قدر مجهوده دون شيء من الاوهام ·

وقال الاستاذ برونتير في نقده مذهب سانتبوف : وعلى هذا فان دراسة كاتب كبير ان لم تستغرق حياة برمتها استغرقت سنين طويلة ·

هذا قول كتاب اذا أحبوا ان يكتبوا في تاريخ الادب وجدوا السبيل ممهدة فما نقول لكتاب تعترضهم العقبات وتحيط بهم المصاعب فتقف اقلامهم لتحيرها ، الموضوع حديث لم يكتب العرب فيه على حسب روح هذا العصر وانما كتبوا باساليب لا تناسب اوضاع هذا العصر ، مات فلان سنة كذا ··· ومن قوله في وصف كذا ··· وله تشبيهات فريدة ··· كل هذا ليس من تاريخ الادب في شيء ، واذا كنا نجد بين نقاد المتقدمين من ارتفع الى منزلة أعلى ، وحلّق في جو أفسح كالجرجاني في وساطته ، وكالثعالبي في كلامه على المتنبي ، او كغيرهما فهذا قليل على ان نقد الادب شيء وتاريخه شيء آخر ·

قلت في صدر الحديث : تاريخ ادبنا ضيق المذاهب ، فلنبحث عن شيء من هذا الضيق ، اذا اخذتم تاريخ ادب غربي وجدتم في فاتحته وصف اول هذا الادب كيف ولد وكيف عاش ، فلا يستغني المؤرخ عن التنقيب عن لغة قومه ، كيف نشأت هذه اللغة وما هو اصلها ومتحدرها وما هي عناصرها ، لا يستغني المؤرخ عن هذا كله حتى يستطيع ان ينظر في تسلسل الآثار العقلية نظراً ثاقباً ويحيط بمختلف العوامل التي عملت في هذه الآثار ، فيكون مثله في ذلك كمثل المؤرخ الطبيعي فكما ان هذا المؤرخ يصف اتصال المخلوقات الحية في الطبيعة بعضها ببعض على صورة مرتبة فكذلك يجب على المؤرخ الادبي ان يبين كيف تسلسلت آثار عبقرية قومه والتحق بعضها ببعض من مبادئها الى خواتيمها ، أفيتيسر لنا في حالتنا هذه ان نعرف شيئاً عن مبدإ لغتنا فنعرف كيف ولدت الفاظها وكيف عاشت كما يعرف الفرنسيون مثلاً كيف تحدرت لغتهم من الاصل اللاتيني؟

كنت أذاكر مرة في امر لغتنا الكريمة أستاذاً مطلعاً على اللغات السامية فقلت له في جملة ما قلت : وددت لو اننا نعرف كيف ولدت لغتنا في اول امرها كما يعرف بعض الافرنجة كيف ولدت لغاتهم ، فقال : هذا امر ممتنع الآن ، ان بعض الافرنجة شهدوا ميلاد لغاتهم فدوّنوا آثارها وتعهدوها فكان مثلهم في ذلك كمثل من يغرس شجرة ثم يتعهدها حتى تورق وتزهر وتثمر ، اما نحن معاشر الساميين ، فاننا لم نشهد ميلاد لغاتنا

فلا نستطيع ان نعرف اليوم كيف اورقت هذه الشجرة السامية وكيف ازهرت وكيف أثمرت وبيننا وبين الذين غرسوها وتعهدوها أحقاب متطاولة وعصور متراخية ، خفيت علينا حتى اليوم آثارها ورسومها فلا نعرف عن هذه الاحقاب شيئاً . —

هذا صحيح ، والغريب انكم تجدون من كان يعتقد ان لغة العرب قد تكاملت دفعة واحدة دون شيء من التدريج ، منهم (رنان) فقد قال :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سره ، انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي غنى ، كاملة بحيث انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها اقل تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لاول امرها تامة ، ولا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في اطوار مختلفة » .

وانا لا ادري كيف صدر هذا الكلام عن رجل مثل رنان ، ايُّ شيء يتكامل في الطبيعة فجأة ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش فتموت فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات ، اما قول (رنان) ليس للغة العرب طفولة ولا شيخوخة فهو مخالف لاصول العلم ، للغة العرب عهد طفولة ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذا العهد ، لبعده عنا وخفاء رسومه علينا ، فلا يمكن ان تكون لغة جاهليتنا متكاملة على صورتها هذه من دون ان يتسلسل فيها هذا التكامل عصوراً متطاولة صقلت اللغة وحسّنتها حتى طلعت علينا في حلتها الانيقة ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى ذلك في شعرهم ، أفأجد حاجة الى ذكر قول عنترة :

(هل غادر الشعراء من متردم)

اول قول امرئ القيس :

(عوجا على الطلل القديم لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حزام)

او قول زهير :

(ما ارانا نقول الا معارا او معادا من قولنا مكرورا)

فالذي يستنبط من كلام عنترة وامرئ القيس وزهير ، انه جاء قبلهم شعراء جالوا

في الشعر كل مجال وحلقوا في سمائه كل محلق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا عنترة وامرأ القيس وزهيراً وامثالهم فيض قلوبهم وصوب اذهانهم ، وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً ، فلغة العرب متقادمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلا ريب في إنها قد سبقتها احقاب مديدة ، انتقلت فيها اللغة من طور الى طور ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انتقلت اللغة في اثنائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلمة في تاريخ ادبنا ، ولا تسد هذه الثلمة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الامم التي خالطها العرب في قديم الدهر وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته الينا بجذافيرها ، وان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله. قال ابن فارس : ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

تصوّروا بعد هذا كله حرج موضوعنا وضيق مذاهبه ، اني لا اجد لذة في تاريخ الادب الا اذا عرفت اوائل الآثار واواخرها ، ومبادئ المصنفات وخواتيمها ، واستطعت ان اصل الاواخر بالاوائل واربط الخواتيم بالمبادئ حتى اعلم كيف تسلسلت ثمرات القرائح ونتائج الخواطر ، وكيف اثّر بعضها في بعض وتحدر بعضها من بعض فاذا لم يتهيأ لي شيء من ذلك كان العلم ناقصاً . —

على ان هذه العقبة التي تعترضنا في سبيلنا ليست فريدة فان من ورائها عقبات غيرها ، اظن انكم تذكرون قولي في ثقافة الذوق : لا بد لنا من معرفة العصر الذي ندرس شاعراً من شعرائه ، فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي أيقظها ، فاذا كنا ندرس شعر المتنبي ، ووقع نظرنا في شعره على لفظة (ابتشاك) ومعناها : الكذب ، وهي لفظة غريبة فكيف نجزم امر غرابتها اذا لم يكن في لغتنا معجم يشير الى تاريخ الالفاظ ، كيف نعرف ان لفظ الابتشاك كان غريباً في عصر المتنبي اذا لم يكن في لغتنا معجم يبين لنا ان هذا اللفظ استعمل في عصر كذا ثم بطل استعماله بعد ذاك العصر ، فاذا كان في لغتنا معجم لغوي تفسر فيه الألفاظ بحسب تاريخها استطعنا ان نجزم امر غرابة الألفاظ ، فلا نسير في

تقيينا واستقصائنا على غير هدى وانما نستند الى مصادر موثوق بصحتها ، فنقطع دون شيء من الحيرة والارتباك فلا يزال تاريخ ادبنا مثلوم الجوانب فاذا كنا نبحث عن شاعر من الشعراء فقد لزمنا في مثل هذه الحالة ان نقرأ شعر اهل عصره كلهم ، حتى نعرف مصطلحات ذاك العصر ، وهل يتيسر شيء من ذلك ؟ فاما ان يفوتنا البحث عن هذا الامر ، واما ان نستعين عليه بالكتاب الذين ظهروا في ذاك العصر واشاروا الى غرابة الفاظ شاعر من شعراء عصرهم ، فاذا لم يكن شيء من ذلك بقيت في تاريخ ادبنا زاوية فارغة . —

ولو جاوزنا هذه العقبة لاعترضتنا عقبة غيرها فان في تاريخ ادبنا شيئاً من الغموض نشأ عن ان طائفة من الاسماء اطلقت على مسميات لانرى لها اثراً في هذا العصر ، لنضرب مثلاً لذلك فقد قرأت في بعض كتب الادب هذا الكلام : دخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة ، فالعباءة القطوانية منسوبة الى قطوان — موضع بالكوفة — منه الاكسية ، غير اننا لا نعرف شيئاً عن نوع هذه العباءة وكذلك المدرعة فانها ثوب ولا يكون الا من صوف ومن الذي يعرف هيأة هذا الثوب[1] .

فانتم تجدون في سطر واحد كلمتين اوثلاث كلمات تدل على مسميات نكاد لا نعرفها ففي لغتنا كثير من الاسماء اطلقت في القرون الخالية على مسميات ثم انطوت تلك القرون فذهبت بذهابها المسميات وبقيت الاسماء في بطون المعاجم تدل على اشياء لا نعلمها ، وقد كانت هذه الاسماء وضعت للدلالة على انواع من السلاح واللباس والطعام والشراب والدراهم وماشابه ذلك ثم ذهب الذين كانوا يتقلدون هذا السلاح و يلبسون هذا اللباس و يأكلون هذا الطعام و يشربون هذا الشراب و يضربون هذه الدنانير والدراهم ، فذهبت بذهابهم مسمياتهم وبقيت الاسماء وحدها فلا تزال طائفة من ادبنا غامضة بعض الغموض .

---

(١) اخترت هذه الاسماء عرضاً وقد يجوز ان تكون مسمياتها معروفة في بعض قبائل بادية الشام على ان في لغتنا اسماء كثيرة غيرها لا نعرف مسمياتها . فكتب الادب ومعجمات اللغة مملوءة بهذه الاسماء في كل عصر من عصور اللغة .

ما اردت الاستقصاء في البحث عن ثلم تاريخ الادب وانما احببت ان المح الى طائفة من هذه الثلم ، حتى ندرك مبلغ ما يقف في سبيل المؤرخ الادبي من المصاعب التي يستعصي عليه تذليلها ، واني لأجد الى جنب هذه العقبات عقبات غيرها لا بأس بالاشارة اليها ·

اقتصر الذين كتبوا عن مؤلفي العرب على ذكر اليسير من آثار حياتهم العامة وحياتهم الخاصة فذكروا ميلادهم ووفاتهم ولمعاً من اخبارهم ، وقد ورد قليل من النقد في تضاعيف كلامهم ، وما عدا ذلك فاننا لا نكاد نحيط بشيء من آثار حياة مؤلفي العرب فلا نعرف مثلاً كيف ولد هذا المؤلف وكيف عاش وكيف رباه اهله حتى نشأ وترعرع ، لا نعرف كيف كانت حياته في مدرسته وما هي اخلاقه واوضاعه وعاداته ومذاهبه واهواؤه ، وما هي وجهته في حياته ، ما هي انباؤه الخاصة والعامة ، ما هي هيئته وصورته ، ما هي ملابسه ، ما هي الكتب التي كان يقرؤها · كل هذا ينفعنا في تاريخ الادب حتى تنكشف لنا اسرار المؤلفين فنستعين بذلك على العلم بافكارهم وعواطفهم ، ونحل عقد هذه الافكار والعواطف في اثناء بحثنا عن آثار عقولهم وألبابهم ، وهذا النوع من المعرفة عنصر من عناصر التمحيص والتدقيق · فاذا فاتنا هذا العنصر اضطررنا الى النظر في آثار المؤلف نفسها لانها تدل على فكره وعلى عاطفته وعلى روحه ، الا اننا قد نضطرب في خلال البحث والنظر اضطراباً نقف فيه حائرين فلو كنا نعرف دقائق حياة المؤلفين لما اضطربنا هذا المضطرب ، وقد استدرك هذا الامر طائفة من المؤلفين في هذا العصر فكتبوا تراجمهم باقلامهم ووصفوا دقيق حياتهم وجليلها وكشفوا الغطاء عن كثير من امورهم ، والمرء اذا صدق اعلم بظواهره وبواطنه ، وادرى بفضائله ورذائله ، وافطن لمواطن القوة والضعف فيه ، فضلاً عن اللذة التي نجدها في قراءة هذا النوع من التراجم ، فانها نزهة العقول وسلوة القلوب فكأننا بحضرة رجال قد باحوا باسرارهم فنكاد نشهد حركاتهم وسكناتهم ونكاد نسمع صوتهم وكلامهم ونرى ابتساماتهم وتقطيبهم ونشاركهم في آلامهم وأفراحهم وما شابه ذلك · —

قال « سانتبوف » في كلامه على هذه التراجم :

« احببت في كل حين مراسلات اكابر الكتاب واحاديثهم وافكارهم ، احببت تفاصيل طبائعهم واخلاقهم وتفاصيل تراجمهم التي كتبوها ، فان الباحث يعكف خمسة

عشر يوماً على آثار ميت مشهور سواء أكان هذا الميت شاعراً ام فيلسوفاً ، فيدرسه ، ويقلب النظر فيه ، ويسأله ماشاء من المسائل ، ويجعله قبالة عينيه » .

هذه طائفة من نواقص تاريخ ادبنا ولو شئت لأتيتُ على ذكر غيرها من النواقص ، وانما مرادي بيان ما يباغت المؤرخ من بعض المصاعب على ان التلوّم في التفرغ لوضع تاريخ الادب لا طائل فيه ، فاذا ظللنا ننتظر فاننا لا نصنع شيئاً ، اذا كنا ما ننفك نردّد ان تاريخ الادب يستغرق وضعه سنين طويلة فقد تمر هذه السنون من دون ان نشرع في الوضع ، فاذا اخرج شيوخ الادب مكنونهم واستنفدوا وسعهم فتصدى كل منهم لمادة من المواد ، وعمل على قدر مجهوده ، هيأنا تاريخ الادب ومتى تهيأ تاريخ ادب العرب استطعنا ان نحيط بتسلسل آثارهم وافكارهم وقرائحهم من اول امره الى آخره .

دمشق : في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩



المحاضرة الخامسة

نقد المؤرخات الادبية

ذكرت لكم اليسير من العقاب التي يصعب قطعها على الذين يتصدون لوضع تاريخ الادب ، وقد خالج قلبي الرجوع الى هذا الموضوع وانتم لا تجدون ريباً في علو شأنه ، ورفعة مقامه ، وكفى بتاريخ ادبنا ان يكون عنواناً لحسنات قوم ذهبوا بين سمع الارض وبصرها ، فلم تبق من جلالة ملكهم وفخامة سلطانهم الا آثارها مدة ، اذا نحن اعملنا الروية فيها برزت لنا بلاغة منطق اهلها ، ورجاحة احلامهم ، وصحة عقولهم ، لم تبق من قوم ملؤا الدنيا وشغلوا الدهر الا صور جامدة اذا نحن ناجيناها اعربت لنا عما نسجته طباع الذين صوروها وسبكته افهامهم ، فرأيتم كيف درج صوغ اذهانهم في مواضي الليالي من طور الى طور ، وشهدتم اطراد عصورهم وما كان يتخلل هذه العصور من خلابة في الالسن ، او من تشديق وتقعير فينقلب بكم تاريخ ادبنا من عصور السهولة والايجاز الى عصور التكلف والتزيد ، ومن الاقتصاد في النظر الى التبسط في التفكير وعلى هذا يكون التاريخ صلة محكمة الاطراف محبوكة الوشي ، بين حاضر الخواطر وماضيها ، واذا استطعنا ان نؤلف بين الحاضر والماضي حافظت لغتنا على وحدتها وازدادت عظمة سلطانها .

نعم ، خالج قلبي الرجوع الى البحث عن تاريخ الادب لان هذا التاريخ هو الذي ينزع بالنفس الى التمتع بآثار الاولين ويحمل رجال الادب على املاء قلوبهم من هذه الآثار ، فيطلعهم على دروج اصحابها من حال الى حال وينبههم على توسعهم في اساليب شتى ومذاهب مختلفة ، كل عصر وله اسلوبه ، وكل دهر وله مذهبه ، وجملة المقال ان تاريخ الادب هو الذي يضيء لنا سبيل العقل البشري حتى ندرك آثار العبقرية في الاحقاب ، فنصل اواخرها باوائلها ، ومتى استحكمت هذه الصلة اتسعت افياء العبقرية .

هذا هو تاريخ الادب وهذه هي فعلته في الامم ، بقي ان نعرف كيف ينبغي لهذا التاريخ ان يكون حتى يعمل عمله هذا . جعل تاريخ الادب لاحياء آثار الماضي ورسومه ،

حتى تمثل الاذهان هذه الرسوم والآثار فتصبح بمحضر من اشخاص ناطقين ، يصورون لنا صوراً شتى ، في كل صورة منها فكر وشعور ، ينبغي لتاريخ الادب ان يكون فيه شيء من الحياة حتى يمثل لنا حقائق الآثار على وجوه متباينة ، فمرة نرى وضوح هذه الآثار وصفاءها ، ومرة لا نرى الا ابهامها وتعقيدها ، وحيناً نسمع خفيّ صوتها ، وحيناً لا نجد فيها الا الجمود ، ان تاريخ الادب هو الذي يبعث انواع هذه الآثار حتى تأخذ العين خصائصها وصفاتها ومحاسنها ومفاسدها وجمودها وحياتها وعلو قدرها وانحطاطه ، ومختلف الوانها ، ومتباين اساليبها ومذاهبها . ان تاريخ الادب هو الذي يبعث روحاً في هذه الآثار كلها مستعيناً على التمكن من احيائها بالفن وما أوتيه من سلطان ، فالفن وحده هو الذي يحيي ما مات من الرسوم . وخلاصة الامر انما نطلب الى المؤرخ الأدبي ان لا يذهل عن شيء في تصوير صفحات التاريخ ، فلا ينبغي له ان يغفل عن تفاصيل الآثار وظروفها وعن الوانها ومعارضها وخصائصها .

فلنبحث بعد هذا كله هل كان عندنا تاريخ ادبي يستطيع ان يصور لنا حقيقة الماضي ، حتى نطلع على اطوار هذا الماضي وضروب اساليبه ومذاهبه ، اما المؤلفون في القديم فقد ذكرت لكم انهم لم يصنعوا شيئاً في تاريخ الادب واما المؤلفون في هذا العصر فما اظن انهم سبقوا المتقدمين في هذا الميدان ، وسننظر في ذلك في مجلسنا هذا ، اظن انكم ما نسيتم قولي : التاريخ الادبي انما هو سلسلة آثار ولم اقل مجموع آثار ، والفرق بين الجمع وبين التسلسل ظاهر ، فالآثار المجموعة ليست من تاريخ الادب في شيء وانما الآثار المطردة المتسلسلة هي التي تصور لنا الماضي ، الآثار المجموعة لا تدلكم الا على نتائج خواطر لا يتصل بعضها ببعض ، فلا تحيطون بشيء من تأثير عصر في عصر ، وتأثير مؤلف في مؤلف وانما الآثار المتسلسلة تصف لكم ارتباط عصر بعصر ، واتصال مؤلف بمؤلف فتشهدون سير العقل البشري وتنقله من حال الى حال ، ان ما وضع حتى اليوم من المؤرخات الادبية مجاميع لا سلاسل ، فان اصحاب هذه المجاميع اذا درسوا مؤلفاً من المؤلفين فانهم لم يدرسوا من تقدمه ولا نظروا في الذي جاء بعده ، انهم لم ينظروا في اواصر المصنفات وارتباطها بجملة التاريخ الادبي ، ان الذين كتبوا في تاريخ الادب كانت كتبهم مجاميع ولم تكن سلاسل مطردة ، فان كل عصر متصل بالذي سبقه وممهد السبيل للذي تلاه .

تصفحت طائفة من كتب تاريخ الادب في هذا العصر، واحببت ان اجد فيها ما اصطلحوا عليه ان تكون اشباه هذه الكتب ، فلم اظفر بشيء وانما الذي تبين لي ان هذه المؤرخات الادبية مجاميع آثار فيها قليل من الدراسة الادبية والنقد الادبي ، ولكن هذه الدراسة مشوّهة الاسلوب وهذا النقد مثلوم المذهب ، فلم تبين هذه المؤرخات الآثار التي ابقاها شاعر من الشعراء في اهل عصره ، ولم توضح العوامل التي عملت في هذا الشاعر حتى قال شعره ، ولا ذكرت كيف نشأ خيـال هذا الشاعر ، وكيف نما حسه وشعوره ، لم تبين الظروف التي قال في خلالها شعره ، على اني اعتقد ان ذكر هذه الامور لا يتيسر في هذا العصر لمؤرخ ادبي ، وعلى التخصيص ذكر الروح الادبي والروح الفني في عصر من العصور ، لوعورة هذا المسلك وخشونة هذا المركب ، ولا يتهيأ شيء من ذلك الا بعد سنين طويلة فكتب تاريخ الادب في هذا العصر ليست من التاريخ في شيء وانما هي مجاميع مشتملة على قليل من دراسة الادب ونقده ، فلنبحث هل تشتمل في الحقيقة على شيء من هذه الدراسة وهذا النقد .

اخذت عرضاً تاريخاً ادبياً وضعه استاذ من اساتيذ الادب في مصر ، وكتب التاريخ قليلة ثلاثة او اربعة على ما اظن ، اخذت عرضاً هذا التـاريخ وقرأت كلام صاحبه على المتنبي حتى اعرف كيف حاول ان يبحث عن المتنبي ، ولم تكن غايتي الاستعانة بهذا الكلام ، فان الناقد الادبي يجب عليه ان يقرأ آثار المؤلف حتى يستطيع ان يبدي رأياً فيها ، فاذا استعان بكلام غيره على هذه الآثار لم يكن نقده نقداً ، قرأت الكلام على المتنبي في هذا التاريخ لاطلع على أسلوب المؤرخ او على اسلوب النـاقد على الوجه الاصح ، فوجدته بعد ان ذكر اليسير من اخبار حياته اشار الى منزلته في الشعر فحكم له وقال : لم ينبغ احد بعده بلغ غايته في الشعر ، الا اني كنت احب ان اعرف شيئاً عن نبوغ المتنبي نفسه ، فلماذا لم ينبغ احد بعد المتنبي ، فلم يبين الناقد السماء التي حلق فيها المتنبي ، ولم تطاولها سماء ، ولا الافق الذي امتد اليه حسه ، ولا الصور التي صورها ، ولم يذكر شيئاً من شعور المتنبي ودقائق هذا الشعور ، وهو العامل الاكبر في شعره ، ولا ذكر طبيعة هذا الشعور ولا اشار الى شيء من عاطفته ، ولا وضح طبيعة هذه العاطفة ، ولا بحث عن قلق المتنبي واضطرابه وعن اسباب هذا القلق والاضطراب ، ولا اشار الى تناقض المتنبي في اخلاقه ، ولا صور

انا مثله الاعلى في الحياة ولا ذكر هل كان هذا المثل مادياً ام معنوياً ، ولا تعرض لبعض نزعات المتنبي في الفلسفة ولا ابدى رأيه في خلود المتنبي ، هل يخلد ابو الطيب ، وما هو السبب في خلوده ، وفي الجملة فقد قرأت البحث عن المتنبي فلم تنشأ في ذهني صورة عامة ، قال المتنبي في كل الاغراض ، ما هي هذه الاغراض ، اجاد المتنبي في وصف المعارك ، ولكن اين مواطن الاجادة ، المتنبي في كلامه كثير من التعقيد اللفظي ، فاين مواضع هذا التعقيد ، قرأت هذا كله فلم تنشأ في ذهني صورة المتنبي العامة ، ولا صورة شعره ولا صورة حسناته ولا صورة سيئاته ، فلم اعرف شيئاً عن جملة حاله وشعره وأسلوبه ٠

فرغت من هذا التاريخ ، فأخذت تاريخاً غيره فوقع نظري عرضاً على بحث صاحبه عن ابي فراس الحمداني ، فتبين لي ان المؤلف قد استعان برأي الثعالبي في ابي فراس ، حتى انه لجأ في ذلك الى الفاظه نفسها ، فقال : ولما خرج قمر البيان من سراره ، واطلق اسد الحرب من اساره ٠ وقال في موضع آخر في كلامه على شعر ابي فراس : شعره على مثال الشعر القديم متانةً وأسلوباً الا ان عليه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبدالله بن المعتز ، وهذا الكلام انما هو كلام الثعالبي نفسه ، اي امانة في نقد لم يقرأ صاحبه الاثر الادبي الذي ينقده ، اي روح في كلام لم يصدر عن قلب صاحبه ، فلو قرأ هذا المؤلف الاثر الادبي الذي ينقده لكان له رأي فيه خاص به ، مثل المصادر الادبية في تأثيرها في اذهاننا كمثل مشاهد الطبيعة في تأثيرها في حواسنا فكما ان هذه المشاهد قد تترك في حواس مصور آثاراً لا تتركها في حواس غيره من المصورين ، فكذلك المصادر الادبية فانها قد تترك في ذهن رجل آثاراً لا تتركها في ذهن غيره ، فيجب على الذي يتفرغ للنقد ان يقرأ الكلام الذي ينقده ، واما اذا ردّد ما قاله غيره فلا تجد امانة في قوله ، فاذا كنا لا نزال نكرر آراء المتقدمين ونستعين على بحثنا بكلامهم نفسه ، او نشوّه هذا الكلام في بعض الاحايين فكأننا لم نخط خطوة في الف سنة ٠

اكتفيت بهذا القدر من الاستشهاد لأبين لكم ان فريقاً من المؤلفين في الادب لا يزالون ينسخون في هذا الدهر اقوال المتقدمين ، فهم يسحبون على اذيالهم في كتابة المؤرخات الادبية مع شيء يسير من التعديل ، على ان البحث عن مؤلف من المؤلفات في هذا العصر

يختلف عما كان في القديم فقد استفاضت المناهج العلمية في دراسة الادب وشاعت مذاهب النقد وتبدلت الارض غير الارض والسموات واصبح هذا التطور علامة الحياة نفسها ، فلو اجتزأنا بآراء المتقدمين لجمدت القرائح ، ولنضبت الخواطر ، فان لكل ناقد أسلوباً ، وان لكل مؤرخ مذهباً ، وعلى قدر اختلاف هذه الأساليب والمذاهب يزداد رونق الأدب ، فاذا تشابهت فنون الكتابة نفرت الاذان عن كل مردد ، وانقبضت القلوب عن كل مكرر .

اما وقد أشرت الى بعض المطاعن في المؤرخات الادبية فلا ارى بأساً بان اتلو عليكم صفات المؤرخ الادبي على حسب ما حددها الاستاذ « فاكه » في كتابه : فن القراءة .

« يجب على المؤرخ الادبي ان ينسلخ من دخيلته[1] على قدر ما اعان عليه الامكان ، يجب عليه ان يتجرد منها كل التجرد ، فلا يجوز له ان يعرب عن الاثر الذي ابقاه في نفسه مؤلف من المؤلفين ، وانما ينبغي له ان يفصح عن الآثار التي ابقاها هذا المؤلف في اهل عصره وابناء زمانه ، فاذا كان يبحث عن عصر من العصور وجب عليه ان يبين روح هذا العصر العام على حسب مايعرف من تاريخه وان يوضح الروح الادبي والروح الفني في هذا العصر على قدر ما يعرف من التاريخ الادبي والتاريخ الفني ، يجب عليه ان يقيس — وهذا الامر يكاد يكون ممتنعاً — العوامل التي عملت في مؤلف من المؤلفين وان يبين كيف نشأ عقل هذا المؤلف بحسب الكتب التي قرأها في حياته ، و بحسب الرسائل التي كتبها ، و بحسب رأي اهل عصره فيه ، يجب عليه ان يبحث عن مجامع الظروف العامة التي كتب في خلالها ، ظروف قومه ، وظروف مكانه ، وظروف اهله ، وظروف شخصه . يجب عليه ان ينقب عن التأثير الذي اثره هذا المؤلف نفسه ، اي ان يذكر الرجال الذين راقتهم كتابته ، والرجال الذين لم تعجبهم هذه الكتابة ، فلا يجوز للمؤرخ ان يعرف الا الحوادث ولا ان يعلم غيره الا بهذه الحوادث نفسها ، و بروابطها ، فلا يحق للقارئ ان يعلم كيف يحكم هذا المؤرخ ، ولا يحق له ان يعلم انه يحكم ، لايجوز له ان يعرف انه يشعر .

---

(١) دخيلة الرجل مذهبه وجميع امره وقد استعملتها بدلاً من « الشخصية » .

اما الناقد الادبي فانه على خلاف المؤرخ فهو يبتدئ من حيث ينتهي المؤرخ الادبي ، انه على سطح هندسي غير السطح الذي ترى عليه المؤرخ الادبي ، فالذي يُطلب الى الناقد ان يبينه انما هو فكره في مؤلف من المؤلفين ، او في اثر من الآثار العقلية سواء أكان هذا الفكر صادراً عن عوامل عقلية ام كان صادراً عن هوائج نفسية ، فلا يطلب اليه ان يصوّر مخططاً وانما يطلب اليه ان يبين الآثار التي بقيت في نفسه بعد سفر من الاسفار » .

دمشق : في ٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩



المحاضرة السادسة

اطوار النقد

أفلا يزال منكم على ذكر ماقلته لكم في آخر مجلس من مجالسنا ، أفلا يزال عالقاً بحفظكم ان تاريخ الأدب شيء وان النقد شيء آخر ، فقد حدثتكم بخصائص المؤرخات الادبية ، وتعرضت لبعض المطاعن فيها ، فأرى ان اجعل النقد حديثي في هذه الامسية فألمح الى أطوار النقد في لغتنا الكريمة في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس ، ثم أجمل الكلام على النقد الادبي في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

كان نقد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي ايام بني أمية حكماً مختصراً يحكمونه على شاعر من الشعراء او لشاعر منهم ، وقد كان يجري شيء من هذا النقد في اسواق العرب وانديتهم في الجاهلية وفي مجالس الخلفاء وقد ملئت كتب الادب بكثير من موجز هذه الأحكام انقل اليكم نماذج منها على سبيل الاستشهاد .

قيل للحطيئة من اشعر الناس فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية وقال : هذا اذا طمع .

وقال عبد الله العباس : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انشدني لأشعر شعرائكم قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ، قال زهير ، قلت : وكان كذلك ، قال : لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال : اشعر الجاهلية امرؤ القيس واضربهم مثلاً طرفة ، واما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير اهجاهم والأخطل اوصفهم .

من هذه الامثلة القليلة يتبين لكم ان النقد كان عبارة عن خطرات سريعة ونظرات عجيلة لا يستند الى شيء من قواعد الفن الشعري الا ان هذه الأحكام كانت صادقة في معظم الاحايين تصدر عن بديهة وفطنة حتى جاء القرن الثالث فدخل النقد في طور آخر

وألف المؤلفون فيه كتباً منها طائفة زعم اصحابها انها تشتمل على تفصيل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين وانزالهم منازل والاحتجاج لكل شاعر بما وجده اصحاب هذه الكتب من حجة له ، وما قال فيه العلماء ؛ من هذه الكتب : طبقات الشعراء للجمحي ، غير ان صاحب هذه الطبقات لم يبحث الا عن الصور الفنية كحسن الديباجة وكثرة الرونق وجزالة البيت وما شابه ذلك ، كقوله مثلاً كان الحطيئة متين الشعر ، شرود القافية . وكان نابغة بني جعدة شاعراً مفلقاً فلا يختلف طراز هذه الآراء عن الطراز القديم .

ومنها طائفة تتضمن قواعد الشعر ككتاب ابي العباس ثعلب الا ان بعض الذين توسعوا في هذا الباب هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، وابن عبد ربه في عقده الفريد ، والآمدي في موازنته بين ابي تمام والبحتري والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه ، وابن رشيق في كتابه العمدة الى غيرهم من الذين كتبوا في تراجم الشعراء والكتاب كالثعالبي وابن خلكان .

كانت هذه الكتب اشبه شيء بكتب الفن الشعري في بعض أمم الغرب فانها تشتمل على قواعد الفن والذوق فلم يشر اصحابها الى الآثار الادبية الا من حيث الصور الفنية فلم يخبر ابن قتيبة مثلاً في كتابه . الشعر والشعراء ، الا عما يستجاد من شعر الرجل وما اخذه العلماء عليه من الغلط والخطإ في الفاظه ، فلم يخبر الا عن الوجوه التي يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها ، وكل هذا لا يتعدى المحاسن اللفظية غير ان ابن قتيبة قد تبسط في بحثه عن القديم والحديث بعض التبسط فقال : ولا نظرت الى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، فالذي يدل عليه باطن كلام ابن قتيبة ان القديم انما هو قديم بالنسبة الى عصرنا ولكنه حديث بالنسبة الى العصر الذي ظهر فيه ولكن الذي توسع في قواعد الفن انما هو ابن رشيق في كتاب العمدة ، على انه مع توسعه هذا لم يجاوز نقده الاقتصار على الصور الفنية فقد قال في فضل الشعراء :

(كل منظوم احسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة الا ترى ان الدر وهو اخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في

الباب الذي له كسب ومن اجله انتخب وان كان اعلى قدراً واغلى ثمناً فاذا نظم كان اصون له من الابتذال واظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدد في الاسماع وتدحرج عن الطباع) ٠

فكان الشعر عبارة عن الفاظ تشبه الدر على ان ابن قتيبة كان يعرف ان العرب احتاجت الى الشعر لتغني بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة ولكنه نظر الى ظواهر الاكسية التي كانت تصون كرم هذه الاخلاق وطيب هذه الاعراق وصلاح تلك الايام ونزوح تلك الاوطان ولم يتغلغل في بواطن هذا الكرم وهذا الطيب وقد كان في هذه الكتب كلها شيء من النقد اللغوي وهو على ما اعتقد الاساس الذي لا يستغني عنه النقد الادبي نفسه ، وان كان يختلف عنه ، فلا نكاد نجد نقداً ادبياً دون ان يكون فيه نقد لغوي فالكتب التي ذكرتها لكم لم تنظر في روح الشاعر وفكره وعاطفته فلم تفكك اجزاء هذا الشاعر وتبحث عن كل جزء منها ، فكان العصر الذي ظهرت فيه عصر صور فنية الا ان فريقاً من المؤلفين اشاروا الى تأثير بعض العوامل في الشعراء كتأثير البيئة من حاضرة وبدو وتأثير المزاج من سلاسة في الطبع وجفاء في الخلقة ومنهم الجرجاني في وساطته وهذا مذهب طريف في نقد الادب في لغة العرب يكاد يشبه مذهب « تين » في النقد الحديث وسيأتي الكلام على هذا المذهب ٠

ومن هذا القبيل ابو عامر ابن شهيد الاندلسي فالآثار الادبية في نظره صور ظاهرة تدل على بواطن اصحابها فمن قوله :

« ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه من اصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيأتها، ومن كان جسمه مستولياً على نفسه من اصل تركيبه والغالب عليه جسمه كان ما يطلع في تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الاولى في التمام والكمال وحسن الرونق ، وهذا الاسلوب في النقد يكاد يشبه اسلوب سانتبوف في هذا العصر ومذهب سانتبوف التعمق في روح المؤلف حتى يبعث من مدفنه فنرى هيأته وصورته ٠

اما التراجم فكنتم تجدون في معظمها اساليب متشابهة والفاظاً متقاربة بحيث يتحقق عندكم ان الشعراء الذين يتقدم اصحاب هذه التراجم متماثلون في صيغهم وقوالبهم فمن

قول اصحاب هذه التراجم : فلان احد افراد الدهر في النظم والنثر وفلان فرد دهره وشمس عصره وفلان اعجوبة الزمان ونادرته وفريد عصره و ياقمته ، فيكاد يخيل اليك ان الناس كلهم اعاجيب الزمان ونوادره وآحاد الدهر وشموسه ، أفلم يمس ليل الى جنب شمس من تلك الشموس .

هذه هي جملة اطوار النقد في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس اتيت على ذكرها على سبيل الايجاز ثم وقف النقد وقفته فلننتقل الى اطوار النقد في بعض لغات العرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

ما اظن ان ادباً من الآداب قد نمت مذاهبه وامتدت ظلاله في العصور الاخيرة دون ان يكون للنقد الاثر الابلغ في نمو هذه المذاهب وامتداد هذه الظلال ، فالادب الالماني في القرن التاسع عشر قد انبلج نوره من افق الناقد « لسينغ » وقد كان النقد روح الادب الفرنسي من ثلاثة قرون ، ولم يحدث حادث في هذا الادب وفي اذواق اهله من القرن السادس عشر حتى يومنا هذا الا كان النقد مصدر هذا الحادث او اصله ، حتى ان كثيراً من شعراء فرانسه امثال رونسار ومالرب وبوالو وفولتير وشاتو بريان وهوغو قد اعتمدوا على النقد ولجأوا اليه في بسط آرائهم ومعتقداتهم في الادب .

نشأ النقد الادبي الحديث في ايطالية في القرن الخامس عشر وقد كان لنشأته عوامل شتى منها عاملان كبيران : عامل باطن وعامل ظاهر ، اما العامل الظاهر فهو اضطرار رجال التجديد في ايطالية الى تعارفهم وانصرافهم الى استخراج ما خفي من الكنوز في متقدم العصور من مدافنها ، واما العامل الباطن فهو تيقظ « الشخصية » فقد كان الرجل في القرون الوسطى تابعاً لطبقته ولرجال نقابته ، قبل ان يكون مالك امره ، فلم يكن له في كل حين تصرف في شأنه وعمله وفكره فلما طلع فجر التجديد تيقظت « القوميات » وخرج الفرد عن الرق فاصبح هم رجل الفن ان يدخل في عمله سواء أكان هذا العمل شعراً ام كان تصويراً شيئاً من روحه اي شيئاً من طابعه[1] .

ثم انتقل النقد من ايطالية الى فرنسة فصبغ فيها بصبغة ادبية فجمل نقدة الكلام في

(١) رأي الاستاذ برونتير .

تآليفهم المحل الاول للمبادئ والمذاهب ، اني لا اتعرض في هذا المقام لتطور النقد في فرنسة فهذا خارج عن موضوعي ، فلا أتعرض لكتب الفن الشعري في العصرين السادس عشر والسابع عشر ، ولما كانت تشتمل عليه هذه الكتب من قواعد الذوق والفن ، ولا انصدى لاضجاج القوم في مسألة القديم والحديث ، ولما نشأ عن ذلك من خروج النقد عن طور ودخوله في طور آخر فبعد ان كان الناقد يدرس الآثار من حيث انها آثار شرع يدرسها من حيث انها صور الحضارات ، اني لا انصدى لتطور النقد بعد هذا كله فقد اصبح للأثر الادبي في نظر « فيلمان » ارتباط وثيق بالاوضاع الاجتماعية والسياسية .

كل هذا لا حاجة بنا اليه في هذا المقام ولربما مست الحاجة اليه في العام المقبل ، ربما احتجنا اليه في دراسة نقدنا الادبي في اطواره كلها في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس وفي عصرنا هذا فقد نضطر الى شيء من ذلك اذا درسنا هذا النقد وقابلنا بين اطواره وبين اطوار النقد الحديث .

كل هذا لا حاجة بنا اليه اليوم على انه لا اجد لي بدّاً من ان اذكر لكم اربعة نقدة قد استفاضت مذاهبهم في الادب الحديث وكان لها اثر فيه ، واريد بهم فيلمان وسانتبوف وتين و برونتير فاذا اردنا ان نفهم اوضاع الادب الحديث فلا مندوحة لنا عن الاطلاع على مذاهب هؤلاء النقدة .

اما « فيلمان » (١٧٩٠ — ١٨٦٧) فهو مؤلف كتاب درس الادب الفرنسي ، واستاذ البلاغة في السوربون ، وصاحب سر (الاكادمية) وكتابه هذا كان فاتحة النقد الحديث فقد جعل فيلمان للمجالس الاجتماعية اثراً في الادب فقال :

لم يخرج من المجالس النيابية نوع حديث في الادب فقط او صبغة خطابية او بلاغة سياسية بدلاً من البلاغة الدينية وانما خرج منها شيء آخر ، هبت من هذه المجالس نفحة حياة خرج من هذه المجالس عنصر حديث امتزج باجزاء الادب كلها فبدّل منها وغيّر واعاد اليها شبابها .

واما « سانتبوف » ١٨٦٩ — ١٨٠٤ فقد حاول ان يطوي من ظل العاطفة الشخصية في النقد على قدر الامكان ، فالناقد في نظره يجب عليه ان يكون منزهاً عن كل غرض حتى يستطيع ان يكشف اسرار ارواح تختلف عن روحه ، يجب عليه ان يكون صاحب عقل مطلق لا يشغله غرض من اغراض الفن والاخلاق والدين والسياسة .

فالنقد يلزمه ان يكون في حيدة عن كل شيء على نحو حيدة العلم ·

لا يريد « سانتبوف » ان يكون النقد تابعاً لافيـة محدودة فاذا كان تابعاً لشيء من ذلك فكأننا نحاول ان نلزم الاشياء ان تكون تابعة لمذاهبنا فالطبيعة مملوءة بامور متنوعة وقوالب مختلفة فلا يلزم النـاقد ان يكون خاضعاً لسلطان واحد ، وقد اعترض على تبيعه «تين» لما شاء هذا ان يطبّق مذاهب العلم في العقل البشري و يجعل للعبقرية الشخصية أسباباً عامة · يقول « سانتبوف » ينبغي للناقد ان يتجرد من نفسه في النقد ، فن شروط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد فن وان لا يكون له أسلوب فاذا كان للنـاقد شيء من ذلك صرف همه الى اثره الخاص فظهر أسلوبه في خلال الاثر الادبي الذي ينقده ·

فاذا احتاط الناقد في هذه الامور كلها وجب عليه يومئذ ان يبعث كل مؤلف من مرقده حتى نرى هيأته الخاصـة على ان يعتني بكل الظروف التي اتى على ذكرها المؤلف في ترجمته ومن هنا يتبين لكم ان النقد أصبح كناية عن تعمق في روح المؤلف ·

اراد سانتبوف ان يدرس آثار الرجال على نحو درس علماء الطبيعة لنماذج الانواع المختلفة في عالمي الحيوان والنبات الا انه يرى ان اليوم الذي نستطيع فيه تصنيف الكتاب اصنافاً ، ان اليوم الذي نستطيع فيه وضع تاريخ طبيعي للعقول انما هو يوم بعيد على ان الذي يهم انما هو وصف الافراد على وجه الضبط ·

واما تين (١٨٢٨ — ١٨٩٣) فكل اثر من الآثار الفنية في نظره يصدر عن صاحبه حتماً لعلة من العلل الخارجة لان لرجل في الطبيعـة يتبع القوانين العامة على نحو المخلوقات واليكم قوله :

قـد يمكن ان يعتبر الرجل حيواناً من نوع سام يضع فلسفة ويقول شعراً كما تنسج ديدان القز بيوتها وكما تبني النحل خلاياها فاذا وجدنا بستاناً ونحلاً فاننا نريد ان نعرف كيف يكون بناء الخلية ·

من هنا يظهر لكم ان تين قد حاول ان يطابق بين العلم وبين نقد آثار العقل والعاطفة وعلى هذا فقد أراد ان يجعل النقد تاريخاً طبيعياً كبيراً تفسّر فيه الآثار والقرائح والامزجة بحسب الجنس والبيئة والزمن ، لقد أدخل تين عناصر حديثـة في دراسة الآثار الادبية الان مذهبه لا يخلو من بعض المبالغات وقد أثّر في الفلسفة وفن الرواية ·

ثم جاء برونتير (١٨٤٩—١٩٠٧) فانبسط سلطانه على العقول حيناً من الدهر ومذهبه في الأدب مذهب النشوء والارتقاء قال :

انما نعلم ما استفاده التاريخ الطبيعي والتاريخ والفلسفة من هذا المذهب ، فأريد ان أبحث عن هذا الامر : أفلا يستطيع التاريخ الادبي والنقد الادبي ان ينتفعا بهذا المذهب ، انما مثل الانواع الادبية في نظره كمثل انواع الحيوان والنبات فانها تولد فتعيش فتموت او تتحول وهو لا يؤمن بمذهب التولّد الذاتي في الادب ، فالطريقة الغنائية في القرن التاسع عشر لم تظهر فجأة وانما قد هيئت من القرن الثامن عشر .

هذه نظرة عامة في أطوار النقد الادبي الحديث ليس فيها شيء من التطويل والتفصيل وانما غايتي اطلاعكم على الزهيد من مبادئ هذه الاطوار حتى لا تكون غريبة عن اذهانكم وقد تبين لكم من هذه النظرة كيف امتد سلطان العلم الى افاق الادب فامتزج بالادب علم النفس والتاريخ الطبيعي وعلم التشريح وعلم الفيزيولوجية ومذهب النشوء والارتقاء ثم دخل النقد بعد برونتير في طور آخر وقل اعتناء النقدة بالاقيسة والمذاهب وجعلوا همتهم ان ينقلوا الينا الآثار التي رسخت في نفوسهم من قراءة كتاب من الكتب او ان يفهموا هذه الكتب ويفسروها لنا .

وجملة القول : النقد يحيط بالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ وما شابه ذلك فلا يصح ان يكون النقد في حال من الاحوال ثرثرة وهذياناً او خلطاً وتخبيطاً .

دمشق : في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

خلّص السمن وأخلصه اذا اخذ خلاصته ، وتأثّل الناس اذا اخذ منهم أثالاً اي مالاً وإئترش خماشته من فلان : اخذ ارشها وهو دية الجراحات ، وتحوّف الشيء اخذ حافته — واخذه من حافته ، ونصّفه وتنصّفه وانتصفه : اخذ نصفه ، وارتجل الرجل : اخذه برجله ، واجتزل : التقط الجلة للوقود ، وخلف فلاناً واختلفه : اخذه من خلفه ، وتدهن اخذ مدهناً ، واعتصر : اخذ عُصْرة العطاء اي ثوابه ، واغتل الضيعة : اخذ غلّتها ، وتنبل من فلان : اخذ الانبل فالانبل ، وتجلّل الشيء وتجلّه واجتلّه : اخذ جُلّه ، واستعظمه : اخذ معظمه ، وافتلذ المال : اخذ منه فلذة ، واعتدف الثوب : اخذ منه عدفة اي قطعة — والعدفة اخذها ، وجزّأ الشيء اخذ منه جزءاً ، واشتقه : اخذ شقه ، وامتذبل المال : اخذ نبيله اي خياره ، وتخبّه : اخذ نخبته ، وتشافّته : اخذت بشفّه اي بفضله ، وامتدر المدر : اخذه ، واعتنف الامر : اخذه بعنف ، وتكلأ الشيء : اخذه كُلأة — والكلأة : تسلمها · والكلأة هي النسيئة والعربون وكذلك اكتلأها ، وتغفّف الاناء والضرع : اخذ غُفّتَه اي بقية ما فيه ، وعصي يعصي عصياً : اخذ العصا — و بسيفه : اخذه اخذ العصا ·

* * *

وتغفّر الرجل : اجتنى المغافير من شجرها · والمغافير صمغ يسيل من شجر العرفط حلو كالناطف غير ان رائحته كريهة منكرة ، وقرظ القرظ : جناه وجمعه · والقرظ ورق السلم يدبغ به او ثمر السنط ويعتصر منه الاقاقيا وهي مما يتداوى به وقيل هو شجر عظيم له شوك غليظ وزهر ابيض وثمر مثل الترمس تعتصر منه الاقاقيا المذكورة ، وتكمّأ : اجتنى الكمء ، وتمغثر : اجتنى المغثر ، وهبد الهبيد مثله · والهبد والهبيد : الحنظل يقال صحبة الهبيد امر من طعم الهبيد · وفي الاساس الهبيد حب الحنظل ، وتطرثث : اجتنى الطُرثوث وهو نبت يؤكل يرتفع كالدرقة الملفوفة واصله قطع حمر خشنة ويسميه الاطباء رب الارض ورب الرياح ، وسلّق : اقتطع السلق من الارض ، واقتشد ، اقتطع القشد وهو نبات يشبه

القثاء وقيل الخيار ، وتلثّى والتثى : اخذ اللثى ، وافتمل القمام : استنفضه بيده عن الشجر ، وتخلّل الرُطَب : طلبه خلال السعف بعد انقضاء الصرام ، وحنظل : جنى الحنظل وهو لغة في الحنظل . ويقال خرج القوم يتذأنون اي يجنون الذؤنون وهو نبت من الرمث .

وقد اجرم التمر اي حان جرامه ، واقطف الكرم دنا قطافه — والقوم : حان قطاف كرومهم ، واخرف النخل : آن له ان يخرف اي يجنى ، واقطع : اصرم ، واجنى الشجر صار له جنىً يجنى فيؤكل .

* * *

واحتش الحشيش طلبه وجمعه ، ودوّن الديوان جمعه ، وحطب واحتطب : جمع الحطب وحطب فلاناً : اتاه بالحطب — وجمع له الحطب ، ورزّم الثياب : شدها وجمعها رزماً ، وخلّ الكساء : جمع اطرافه بخلال ، وبقل بعيره : جمع له البقل ، وانتجب : جمع النجب اي لحاء الشجر وقيل قشر عروقها وقيل قشر صلب منها ، وجمّل الشيء : جعله جملة ، وخرط الجواهر : جمعها في الخريطة ، واستخلب الشيء : استحشه بالمخلب ، وجيش القائد : جمع الجيوش ، وكوم التراب جمعه وجعله كومة ، وخلا الشعير في المخلاة : جمعه ومثله النقط اللقاط ، وحزّب القوم جعلهم احزاباً — وجعلهم من حزبه .

* * *

واستكار استكارة : حمل الكارة على ظهره وهي مايحمل من الثياب على الظهر وسميت كارة القصار بذلك لانه يكوّر ثيابه في ثوب واحد و يحملها فيكون بعضها فوق بعض ، وثَبَن الشيء : جعله في الثبان وحمله بين يديه . والثبان هو الموضع الذى تحمل فيه من ثوبك اذا تلحفته او توشحته فتثنيه بين يديك ثم تجعل فيه من التمر وغيره شيئاً وقال الازهري ليس الثبان بوعاء ولكن ماجعل فيه من التمر فاحتمل في وعاء وغيره وقد يحمل الرجل في كمه فيكون ثباناً ، وقد احتضن الشيء اي احتمله وجعله في حضنه ، واحتجز : حمل الشيء في حُجزته وهي معقد الازار — وموضع التكة من السراويل .

وجُنِح البعير انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل . وربّع الرجلُ الحملَ ادخل المِربّعة تحته واخذ بطرفها الواحد وآخر بطرفها الآخر ثم رفعا على الدابة فان لم تكن مربعة اخذ احدهما بيد الآخر ورفعاه وذلك يقال له المرابعة ، والمربَع والمِربَعة

خشيبة يأخذ الرجلان بطرفيهـا ليرفعا الحمل على الدابة ويقال رابعوا الحمل اي ادخلوا المربعة تحته . وَحدَج البعير شدّ عليه الحِدج اي الحمل . ووسّق الحنطة جعلها وَسقاً وسقاً قال الخليل الوَسق هو حمل البعير والوِقر حمل البغل او الحمار .

* * *

وأزلخ البـاب أغلقه بالمِزلاخ والمزلاخ والمزلاج والزلاج : المِغلاق الا انه يفتح باليد وهو المعروف عند عامتنا بالدُقّرة ، وكذلك زلجه وأزلجه اي اغلقه بالمزلاج .

وَعصَم القربة جعل لها عِصاماً وشدّها بالعصام وهو عروة يُعلّق بها .

* * *

وثَقب الشيءُ خرقه بالمثقب . ونقر الشيءَ ثقبه بالمنقـار . ووقَب وَقْبة اوجدها وهي نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء — والكوة العظيمة فيهـا ظلٌّ . وخزم انف البعير ثقبه لتعليق الخزامة فيه — والبعير جعل في جانبي منخره الخِزامة وكذلك خزّم البعير وانفه ، والخزامة حلقة من شعر تجعل في وترة انف البعير يشد فيها الزمام ويسميها بعضهم بالخزام . وَعلَبى عبدَه ثقب علباءه وقيل قطعها وهي عصبة صفراء في صفحة العنق .

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

العربة واصلها

وقفنا على ما كتبه حضرة الخوري جرجس منش في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٦٩٩) بعنوان : « العَرَبة . هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ » فتعجبنا من هذا العنوان الغريب ، لانه لم يذهب الى هذا الرأي احد ، اذ كلنا يعلم ان ابن بطوطة ذكر اللفظة سماعاً عن اهل البلاد الذين كانوا ينطقون بها . فهو راوٍ لا واضع . فكيف نسب حضرته هذا الامر الى ابن بطوطة في ذيّالك العنوان ؟ فلو قال مثلاً : « العربة : هل هي من عصر ابن بطوطة » لما ناقشناه . اما انه ينسبها الى الرحالة المذكور ، في الوقت الذي يصرح فيه بانه يروي الكلمة روايةً ، فهذا مما كنا نحب ان يرفع نفسه عنه .

وهناك نسبة أُخرى كنا نودّ ان لا يذكرها بالوجه الذي ذكره . فقد قال حضرته : « وقد كان . . . الاب انستاس الكرملي قد ذهب الى ان العربة تركية الاصل في نقده على الشيخ ابراهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٩١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة عربة بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل ! ! . . . » كذا رأينا هذه العبارة مكسوعةً بعلامتي تعجب . ونحن لم نفعل ذلك . فهي إذن من حضرة الخوري الفاضل ومن زياداته . وكان يحسن به ان يقول انها من عنده ، او أن يجعلها بين عضادتين او هلالين او غير ذلك من العلامات ، ليشعر القارئ بانها ليستا لنا اذ لسنا ممن يسخر بمعرفة اليازجي . ومقامه من اللغة اشهر من ان يذكر .

إذن وضع حضرته هاتين العلامتين هو من عنده ليدل بهما على تعجبه من جهلنا . قلنا : اننا نقرّ بهذا الجهل وقد صرّحنا به مراراً ، لكن مع هذا كله لم ننسب الى نفسنا القول بتركية اصل العربة . وكلامنا صريح فوَيق هذا وهو : « وهي تركية الإصل » ولم نقل : « وعندنا انها تركية الاصل » الى غيرها من العبارات الدالة على ادعائنا بالامر . انما اوردنا رأي الغير . والذي صرّح به قبلنا انها تركية صاحب مرآة اللغات ، ومؤلف

الدرر العثمانية في اللغة العثمانيــة ومصنف لهجة اللغات وغيرهم وهم كثيرون · ولما قلنا انها تركية الاصل لم نقل انها بلفظها الحالي تركية الاصل بل اردنا ان نقول تركية التركيب والوضع · ألا يعلم الناس ان عولس او عوليس علم يوناني · ومع ذلك نقله بعضهم بالعين كما ترى · أفلكون الكلمة تبتدئ بعين يزول عنها اصلها اليوناني ؟ [1] فقول حضرة الخوري : « وهذا يؤكد (اي كتابة الكلمة بالعين) ماسبق وقلته لاظن العربة من اصل تركي » قول يقرب من قول الاطفال والرضعان ·

اما ان «العربة» تركية فنحن لانشك فيها · وذلك لاننا نراها مدونة بهذا المعنى في كتاب « ديوان لغات الترك» لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري [2] · وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) اي في اواخر المائة الحادية عشرة · وانت تعلم ان المؤلف تركي وصنف كتابه في بغداد ونقل الفاظه عن الترك كما تعلم ايضاً ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الأوطان والأطراف الا بعد مئات من السنين ، بخلاف ما يجري في هذا العهد اذ يتم اتخاذ اللفظة نقلها على اجنحة الصحف والمطبوعات · اما في عهد البداوة فان الكلمة ما كانت تنتشر الا بعد مئين من السنين فوجود العربة عند

---

(١) من الاعلام اليونانية التي عربهــا سليمان البستاني بالعين : عرليق وعسارافس وعسطروف وعسطيفيل وعسقانيــا وعسقانيوس وعسقلاف وعفرُذيت وعفنطوس وعفطوليق وعمارنقا وتزيد على ذلك العقيون وهي يونانية ايضاً قديمة التعريب · والعامة تقول اليوم معكروني والكلمة الايطالية خالية من العين · ونحن نقول كمك بالعين متأثرين بالسلف القديم وهي كاك بالفارسية اي بلاعين · وقالوا السقرقع واصلها السكركه ودرقاعة واصلها دركاه وهما من الفارسية · ونقول الآن عفارم من التركية آفرين · الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية · أفينكر اصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها بلغتنا بهذا الحرف الحلقي ·

(٢) صنف المؤلف هذا الكتاب واهداه الى ابي القــاسم عبد الله بن محمد المقتدي بامر الله الخليفة العباسي وطبع في الاستانة سنة ١٣٣٣ هـ طبعاً متقناً وعلى ورق ثخين حسن ·

الترك بصورة (أرَبه) او (ارابه) بمعنى « العجلة اوالمركبة » في لساننا اقدم من نقل معناها بهذا اللفظ نقلاً عن الارميين ان صح هذا النسب الموهوم فيه ·

اما انها سريانية فهي لم ترد فيها بهذا المعنى · وهل يمكن ان يستشهد بوجود كلة بمعنى من المعاني غير المعنى المطلوب الذي يجري فيه الجدال ؟ — ومن العجيب ان حضرة الخوري يلوي النصوص ويقلبها ظهراً لبطن و يسومها عذاب الهون ثم يحاول ان يخرج منها معنى العجلة الذي يولي عنه بعيداً كلما عالج القبض عليه · فالمراد من قول المؤلفين الارميين : جناح دولاب العربة : «العنفة» (كقَصَبة) وهي مايضرب به الماء فيدير الرحى · فاين هذا من العجلة ياحفظك الله ؟ نعم ان العربة هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء يطحن بها الحنطة او يعصر بها البزر او يستخرج بها الزيت ، لكن بين ان يكون الزَوْرَق عجلة او مركبة فرق كالفرق الذي يرى بين السمكة السابحة في الماء والحيوان الداب على الارض · فان كان هذا يوافقه فلا يوافق الغير من المنصفين ·

ومن غريب ما استنتجه حضرة الخوري قوله : « وقد ذكر ابن علي عربا على اللفظ الشرقي بمعنى العربة (العجلة) كامر بك » والعبارة التي يشير اليها حضرته هي : «(ابزارا) جناح دولاب العربة » · والحال اننا نعلم ان لا جناح للعَجَلة كما لا جناح للعِجلة (بكسر الاول مؤنث العجل) · والعربة المذكورة في هذا النص هي المعصرة لاغير · فكيف يلوي حضرته النصوص ويستنتج منهـا تلك النتائج ؟ ان هذا لا يمكن ان يسلم به جاهل فضلاً عن عاقل ·

فمعنى العربة التي استعملها الارميون يوافق المعنى المذكور عنها في معاجم لغتنا العربية اي معنى المعصرة الموضوعة في السفينة ولها دولاب وللدواليب عنفات يضربها الماء الجاري فتحركه اي (Presse hydraulique) وليس هناك اثر لمعنى العجلة ·

والعربة التي يكتبها صاحب «ديوان لغات الترك» ارَبه (كقصبة وبهاء في الآخر) تركية الاصل لا شبهة فيها · وقد عربهـا العرب بالعين كما عربوا الفاظاً كثيرة ناقلين اياها من اللغات التي لاعين فيها · ولا سيما هذه الاربة عربت بالعين لقربها من لفظة « العربة » التي الفوها لوجودها عندهم علماً ونكرة وان كان المعنيان يختلفان · فاننا نسمع العراقيين يقولون اليوم ام البوس في امنيبوس وهي الحافلة — وقلم طوز في اوكاليبتوس

الى غيرهما من الالفاظ التي يسمع مثلها وتجري على هذا الوجه من التحريف والتصحيف في جميع الديار واللغات لمشابهة بين الكلم الغريبة والكلم المألوفة على السماع ·

(تذييل) اغلق علينا فهم بعض الالفاظ فنرجو من حضرته ان يفيدنا عنها · قال : « ذلك ما تبادر الى ذهني » (ص ٦٩٩) أفيريد ان يقول ذلك ما تبادر ذهني اليه ، او ما بادر اليه ذهني ؟ — وقال فيها « ليس هو من ائمة اللغة بل ليس هو الذي وضع ··· » افلو حذف « هو » من الجملتين الما كاننا اخف وارشق؟ — وفي ص ٧٠٠ « في العهد العباسي اي في اواخر العصر التاسع للمسيح » — فلنا فسر العهد العباسي باواخر القرن التاسع للمسيح والذي نعلمه ان العهد العباسي يمتد من سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) الى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اي ٥٢٤ سنة · هذا فضلاً عن اننا لم نجد بين الاقدمين من استعمل العصر بمعنى القرن او مائة سنة · — ومما شق علينا فهمه قوله في ص ٧٠٠ « عربة خطأ محض (بالتركية) لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعلها المراد (ارابه در) اهـ ·

فهذا كلام يدلك على ان اللفظة التركية هي (ارابه در) · وهذا امر مضحك · انما المعنى هو « ارابه » بالتركية ، لان « در » في اللغة التركية اداة وصل الخبر بالمبتدأ · ويقابله « هو » بلغتنا · والسلف يحذفونه فيقولون مثلاً « العلم نافع » لا العلم هو نافع — ومما لم يأنس بالنطق به فصحاؤنا قول حضرة الخوري في حاشية ٧٠٠ « مثل برنساء وما اشبه » — والذي ينطق به ائمتنا وما « اشبهه » (راجع لغة العرب ٧ : ٥٥٥) لترى سبب هذا التعبير) ·

ومن الغاز كلامه هذا التعبير : « وهذا يؤكد ماسبق وقلته لا اظن العربة ··· » ولعل هناك غلط طبع اذ الصواب « ماسبق وقلت » او « ماسبق اذ قلت » · او اشباه ذلك ·

ومما لم نفهمه قوله « من اعتاد الحرب (ص ٧٠١) أفيريد من عتاد الحرب (بلا همزة في الاول) او أعتد الحرب اوعتد الحرب » ؟ فاذا كان هذا هو المطلوب فلماذا كل هذا التحذلق ؟ — وفي تلك الصفحة : « ولما كانت العجلات ··· فقد توسطوا » والصواب حذف الفاء من الجواب إذ لا يتلقى جواب « لما » بالفاء بخلاف « اما » فلعل تشابه اللفظين استدرجه الى الوهم · والاحسن ان يحذف معها « قد » ايضاً فيقول : «ولما

كانت ... توسعوا » — وفي تلك الصفحة كرر قوله وماشبه . — والصواب الاحتفاظ بالفضلة وان يقال : وماشبهه . — وضبط «ارامية» في تلك الصفحة بمدالهمزة والصواب بغير مد والاكتفاء بالهمزة المفتوحة اوان يقال « إرميّة » (وزان عنب بالنسبة والتأنيث) كما صرح بذلك صاحب القاموس — واحسن الاقوال إرَم (كعنب) لانها واردة في سورة الفجر .

ارسلنا بهذه الكلم على ما حضرنا ونحن اول من يتهم نفسه بالخطإ و يقر به اذا مارآه متبلجاً في سماء التحقيق الصاحية .

الاب انستانس ماري الكرملي
عضو المجمع العلمي

التذكرة الصلاحية

طالعت في الجزء العاشر (المجلد التاسع) من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق السيد (ف . كرنكو) في شأن الجزءين من تذكرة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندرة ووصفه ما احتو ياعليه من الفصول الادبية ، فأحببت ان افيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من « التذكرة الصلاحية » بخزانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس — رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى ان هذه المجموعة الادبية النادرة المثيل هي مبعثرة الاجزاء فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودار الكتب المصرية وغيرذلك .

اما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في القالب الربعي يخرج في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية ، للشيخ الامام العالم العلامة خليل بن ايبك الصفدي ، وبآخره ما نصه :

تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي ، وهو السابع من هذه النسخة ، والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا ان عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ فقد جمع ناسخنا كل

جزءين في واحد ، وخط هذا الجزء نسخي شرقي يرجع بحسب الظن الى القرن الثامن — عصر المؤلف — والنسخة جميلة مقروءة اعتنى بها صاحبها وان لم يسم نفسه .

واليك ما اشتملت عليه من الفصول ، بعد الافتتاح .

ص ٢ الى ٣٥ — رسالة القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الصاحب بهاء الدين بن حنا يعلمه بواقعة السلطان الملك الظاهر مع التتار .

ص ٣٦ الى ٤٣ — مقاطيع وقصائد شعرية للقاضي محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر المتقدم في اغراض شتى — وقد قال الصفدي عقب نقله لتلك الاشعار :

على انها قطرة من بحر زاخر ، ولمعة من معترض برق ما له من آخر ، ولو دُوّن نظمه وجمع لكان اجزاءً كثيرة في سائر الافانين ، ولقيل لمجموعه ما هذا ديوان بل دواوين ، ولقد رأيت بخط العفيف المسري ناقل جوهره الثمين ، وحقيق لما نقل من احسانه وحسناته انه كاتب امين ، لانه كتب من نظمه ونثره مما نقله من مسوداته القاضي الاشرف ولد القاضي الفاضل ما عندي بمفردي منه خمسة عشر مجلداً فكيف ماهو غير ما في ايدي الناس وغير ماهو عندي ايضاً بخط القاضي الفاضل — رحمه الله — وهو خمسة عشر جزءاً مجلداً » .

ص ٤٤ الى ٤٩ — رسالة من تحرير القاضي الفاضل يفتخر و يباهي ويتبجح ويترجح ويتفسح و يتروح .

ص ٥٠ الى ٩٨ — جملة من مختار نظم القاضي الفاضل .

ص ٩٩ الى ١٠٧ — رسالة قوام الدين ابي طالب يحيى بن زيادة التي اصدرها عن الامام الناصر امير المؤمنين الى الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب .

ص ١٠٧ الى ١٠٩ — جواب القاضي محيي الدين عبدالله بن عبد الظاهر عن الرسالة المتقدمة وقد ضمنها فصول إنكار عليه .

ص ١١٠ الى ١٦٣ — نسخة الجواب عنها .

ص ١٦٤ الى ١٦٩ — المختار من كتاب الدعاء لابن ابي الدنيا (قال الصفدي) : اخبرنا سماعاً شيخنا الامام الحافظ العلامة جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن

ابن يوسف المربي بدمشق ثالث ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بدارالحديث الاشرفية الخ ·

ص ١٧٠ — انشدني تاج الدين خليل بن ابراهيم بن احمد المصري عرف بالوجيزي بدمشق المحروسة ··· سنة ٧٣٤ بالجامع الاموي ، قال انشدني لنفسه ابو بكر بن عثمان بن العجمي بالقاهرة ··· شعر ·

ص ١٧١ الى ١٧٣ — اشعار لابي اسحاق بن خفاجة ·

ص ١٧٤ — ابيات من قصيدة علي بن محمد الايادي التونسي (معاصر محمد بن هاني الاندلسي) في وصف الاسطول ·

ص ١٧٥ — ابيات من قصيدة المريسي (الشاعر الاندلسي) في وصف الاسطول ايضاً ·

ص ١٧٦ — حكاية عن امير مصر موسى بن عيسى ·

ص ١٧٧ — اشعار للرستمي وصدر الدين بن الوكيل وابن القدوري ·

ص ١٧٨ — شعر لابن قلاقس ·

ص ١٧٩ الى ١٩١ وهو آخر الجزء — المختار من شعر ابن دانيال ·

قال المؤلف عقب ذلك ، تم اختيار ديوان بن دانيال بالديار المصرية في العشر الاواخر من رمضان سنة ٧٣٦ ، والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله وكفى ·

وهو نهاية ما بهذا الجزء ، وكنتُ أُخبرتُ انه يوجد بالديار المصرية التونسية بعض اجزاء متفرقة من « التذكرة » فعسى ان اظفر بمطالعتها وبنشر برنامج فصولها في فرصة أُخرى ، ان ساعد القدر ·

عن المهدية (تونس) حسن حسني عبد الوهاب
عضو المجمع العلمي العربي

حول شعر بشار

جاءنا ثلاث رسائل من الافاضل الآتية تواقيعهم حول شعر بشار بن برد وجمعه نذكرها حسب ورودها ٠

لما لم يتيسر لي خدمة دمية القصر للباخرزي التي كنت أريدها منذ سنين فكرت في عمل آخر لخدمته فأشار صديقي العلام الاستاذ عبد العزيز الميمني الى عدة كتب خطية عني بنشرها ، منها نسخة (شرح المختار من اشعار بشار) المحفوظة بحيدر آباد الدكن من الهند واخترتها من بين الكتب المعرضة علي وارتضيتها لنفسي واستعنت برئيس جامعتنا الاسلامية الدكتور السيد رأس مسعود فاستعار لي النسخة من حيدر آباد واخذت اعمل فيها وهي شرح اشعار بشار بن برد اختارها الخالديان ابوعثمان سعيد وابو بكر محمد ٠ شرحها اسماعيل بن احمد بن زيادة الله البرقي الافريقي ٠ ولا اعرف وجود نسخة أخرى من هذا المختار او شرحه سوى هذه النسخة الحيدر ابادية وهي جيدة عتيقة يدل خطها على انها خطت في المائة السابعة من الهجرة وهي ذات اربعمائة صفحة لكنها مخرومة من الابتداء قد ضاع من اوراقها شيء يسير ٠ ولم اجد ذكر الشارح في شيء من الكتب سوى ذكر اسمه في بغية الوعاة للسيوطي ٠ الا ان شرحه هذا يدل على انه رجل كبير فانه يذكر اولاً ابيات بشار فيفسر كلماتها ومعانيها ثم يعارض كلام الشعراء الآخرين في مواضيع كلام بشار بعينها ٠ وأريد ان اجمع اشعار بشار بقدر ما يتأتى لي الحصول عليه من الكتب والاسفار بعد خدمة هذه النسخة وان اجعل الاشعار المجموعة تذييلاً لها ٠ ولا بد من هذا العمل اذ كنا نعم انه لا يوجد ديوانه وقد ضاع شيء كثير من شعره وانما يوجد منها ما يوجد في الكتب على سبيل الاقتباس ٠ وحين نشر الشيخ احمد حسنين القرني ما جمعه من اشعار بشار كتب السيد محب الدين الخطيب في مجلته الزهراء انه أخبر بوجود نسخة من ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس لكنه لم يدر ان كان ذلك الديوان من تأليف المتقدمين او من صنع المتأخرين ٠ فحين عزمت على خدمة شرح المختار كتبت الى الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ان يعينني في عملي و يخبرني بديوان بشار الذي عنده ٠ لكن لم يصل الي جوابه بعد ، فلعل مكتوبي ما وصل اليه

والآن رأيت محاضرة في بشار بن برد للاستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ذُكر فيها ايضاً ما كان ذكر في الزهراء من وجود ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب ، فأرجو من السيد الموما اليه الذي هو من اعضاء المجمع العلمي العربي ان ينظر في هذه السطور ويتفضل عليّ بالاخبار عن ديوان بشار الذي عنده والاولى ان يكون ذلك الاخبار في مجلة المجمع العلمي .

الجامعة الاسلامية عليكره الهند : محمد بدر الدين العلوي

« بشار ايضاً »

قرأت في الجزء الثاني عشر من المجلة محاضرة (بشار بن برد) للاستاذ المغربي فانتفعت بها كثيراً واذ كان بشار احد الشعراء المفلقين الذين غيروا الشعر العربي وحولوه الى طرق جديدة لم يسبق اليهـا احد قبله يلزمنا ان نفتش عن آثاره كلها التي بقيت . ولهذا السبب اقول ان في المكتبة السلطانية في حيدرآباد (في بلاد الهند) نسخة من كتاب قديم الخط عنوانه (المختار من شعر بشار) تصنيف الخالديين (ابي بكر وابي عثمان الشاعرين المشهورين) وقد طالعت هذه النسخة في مكتبنا في (علي كره) فوجدتها في غاية الجودة الا انه سقطت منها ورقة او ورقتان من اولها وقد عزم احد علماء جامعتنا عن نشرها ولكنه بطيء العمل بها . واذ كان مشغولاً بنسخها لم يمكني وصف النسخة كلها . ولكن وجدت فيهـا — سوى كثير من شعر بشار — ان المؤلفين قابلوا شعر بشار بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه او كانوا متأخرين . ولعل النسخة الموجودة في تونس التي ذكرها الاستاذ المغربي في محاضرته نسخة أخرى من هذا التصنيف نفسه .

علي كره (الهند) ف . كرنكو
عضو المجمع العلمي

« بشار بن برد »

قرأت ما كتبه الاستاذ المغربي عن بشار بن برد وقد كنت درست هذا الشـاعر العربي درساً واسعاً وكان في عزمي ان اكتب عنه جملة من المقالات المتواصلة كما فعلت

في نشري المقالات العديدة عن المتنبي في جريدة (بيام صباح) وعن ابي العلاء المعري في مجلة (اجتهاد) ولكن الفرصة لم تسمح لي بذلك فبقي ما علمته عن بشار في صدري لم استطع رفع لواء دهائه عند الاتراك . ولا اجد من يفعل ذلك غيري ولا سيما بعد تحويل الاحرف العربية الى اللاتينية . والآن احببت بعد قراءة ما كتبه الاستاذ المومأ اليه ان اضيف الى ما ذكره او اكرر بعضه فاقول :

(١) ان اشعار بشار بن برد عشرون بالمائة منها هي من الشعر الجيد الذي لا يلحق غبـاره ولكن الباقي هو من الشعر الساقط الذي لا يليق ان ينسب الى شاعر كبير مثل بشار وهذا مخالف لأشعار المتنبي فان ثمانين في المائة من شعر هذا الشاعر العراقي السوري الكبير الذي ليس له ثانٍ وهو بكر زمانه والازمنة التي بعده — لا قياس بينه وبين بشار .

(٢) لم يجر الادب العربي على سنة النشوء والارتقاء ولكنـه مات بموت المتنبي وابي العلاء وكل شعر جاء بعدهما كان تقليداً ليس فيه شيء من روح البلاغة العربية والاسلوب الابداعي العربي بل كان من النظم لا من الشعر .

(٣) لا ريب ان بشار كان هجاءً سباباً شتاماً فاحش القول ساقط المبدأ ولكن لا ينبغي ان ينسب ذلك الى طينة رديئة جبل منها او دم فاسد سرى في عروقه منذ الولادة بل يلزم ان يسند الى المحيط الذي نشأ فيه والمحيط الذي ولد منه فالرجل ولد من والدين فقيرين وكان في منتهى قبح المنظر (قرد اعمى كما وصفه هاجيه) فكان الناس يستثمرون و يستهزؤن به ويشتمونه وهو صغير وكان في نفسه النبوغ والاباء فكان يقابلهم بالمثل ونشأ على ذلك وشب وكل له مستهزيء شاتم فكان يشتم شاتميه حتى ان بعض الشعراء اختلس الشهرة لنفسه من هجاء بشار ولولا ذلك لما كان ذلك الشـاعر شيئاً مذكوراً . وقد قال بشـار عن نفسه « ان الناس يشتموني فلا احتمل حقارتهم فاشتمهم مكرهاً » وهي حقيقة يلزم ان تكون عذراً لبشار في كثرة هجائه الناس .

(٤) ان النوابغ لا يخلون من الهفوات والذلات بل هم اقرب الى غير التعقل من بالتعقل في اعمالهم وهب ان بشاراً هجا يعقوب بن داود الوزير بقوله :

بني أمية هبوا طال نومكمو ان الخليفة داود بن يعقوب

وهجا المهدي بقوله :

خليفة يرمى .... يلعب بالدبوق والصولجان

فهذا لا يستحق الموت بلا سؤال ولا جواب ولا محاكمة فقاتله ظالم والذي وشى به يستحق لعنة الله ولعنة العالمين على مدى الدهور ما دام في الدنيا اديب ينطق بالضاد . وقد كنت جمعت بعض الشذرات عن ضحايا التعصب من اعلام الاسلام وعزمت على كتابتها بشكل رسالة . وقد تعهد طبعها صديقي القديم الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولكن لم يسمح لي الوقت ولو كنت كتبت هذه الرسالة لكنت امطرت ناراً على قاتل بشار وعلى الوزير الذي وشى به وهذا هو الواجب على كل كاتب نشأ في العصر الحاضر .

(٥) ان اجتناب الناس تشييع جنازة بشار ليس بدليل على ان الناس كانوا جميعاً يكرهونه ويتمنون موته فما اجتنبوا التشييع الا خوفاً من حكومة الخليفة والوزير القاتلين. وهذا السلطان عبد الحميد — وهو اكبر السلاطين وكان الناس يعبدونه — لما مات لم يشيعه احد خوفاً من حكومة الاتحاديين التي اسقطته وجعلت التقرب اليه جناية لا تغتفر. وهذا هو سبب ضياع اشعار بشار . (الاستانة) زكي مغامز

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

الاصول العربية لتاريخ سورية
« في عهد محمد علي باشا »

تولى جمعها الدكتور اسدرستم المجلد الاول الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٧ هجرية
طبعت في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ١٣٩

عنيت الجامعة الاميركية منذ عهد غير بعيد بهمة الاستاذ اسد رستم — احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية — بجمع ما تشتت من الوثائق السياسية وغيرها لعهد محمد علي الكبير . وانصرف جامع هذه الوثائق الى الاخصاء في هذا الفرع من تاريخ مصر والشام لمكانة محمد علي من النهضة العربية الحديثة . وهذا الجزء هو النموذج الاول من النماذج الكثيرة التي تتبعه مقط عليها الباحثون في الاماكن الرسمية والخاصة ونشرها ناشرها كما كتبت حتى لا يتطرق التضليل الى نصوصها وتكون للمؤرخ مادة كالاصل لاتختلف عنها بحال . وقد تحرى ما امكن في وضعها وتمثيلها على هذه الصورة الجميلة فاستحق ثناء الآداب العربية . وقد قدم الناشر لهذا الجزء مقدمة ذكر فيها طريقته في النقل وأثنى على جميع من آزروه في عمله من رجال البلاد وغيرهم من القناصل والمحاكم الشرعية وغيرها . م . ك

معجم الادباء
« الجزء الخامس طبع في مطبعة هندية بمصر ١٩٢٩ »

نشر الاستاذ مرجوليوث في جامعة اكسفورد الجزء الخامس من كتاب ارشاد الاريب او معجم الادباء لياقوت الرومي في سنة ١٩١١ في مطبعة هندية بمصر واعاد الآن طبعه على الوضع الاول مشفوعاً بفهارس اسماء الرجال واسماء الكتب فاستحق بعمله ثناء العلماء والادباء . لا جرم ان توفر الاستاذ مرجليوث الانكليزي على نشر معجم الادباء

توفر الاستاذ وستنفيلد الالماني من قبل على نشر معجم البلدان لياقوت ايضاً من الاعمال العظيمة في خدمة التاريخ والادب العربي . وفي المعجمين من الحقائق عن العرب والاسلام مالا يكاد يعثر عليه الا في بطون الاسفار الكثيرة التي فقد بعضها . وقد قلنا غير مرة في هذه المجلة ان الفضل الذي يحرزه ناشر كتاب من هذا الطراز لا يقل عن فضل مؤلفه وابي عذره . ولطالما رجونا ان يتقيل بنو قومنا علماء المشرقيات من الغربيين في تحقيقهم وطول نفسهم لنشر آثار سلفنا .
م . ك

اعمال غولدصهير العلمية

Bernard Heller : Bibliographie des œuvres de Ignace Goldziher - Paris

نشرت مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز هذا الكتاب في مئة صفحة ذكر فيه واضعه الاستاذ هللير من اعضاء مجمعنا في المجر ما خطته براعة العلامة المجري المرحوم السيد اغناطيوس غولدصهير من الابحاث الاسلامية واليهودية ونشر باللغات المجرية والالمانية والافرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية . وهي أبحاث كثيرة منها ما صدر في كتب ضخمة ومنها مقالات ممتعة كتبها في المعلمات الغربية ومنها مقالات متفرقة في المجلات العلمية على اختلاف لغاتها وكلها تدور على ماصرف الاستاذ غولدصهير حياته في تعهده من الابحاث المشرقية . وقد قدم العلامة السيد ماسنيون أستاذ كوليج دي فرانس بباريز لهذا السفر مقدمة رائقة في وصف اعمال العالم المجري مما لا ينهض بمثله بضعة من الاعلام . وعسى ان يكون في الاطلاع على مثل هذه الجرائد من اعمال العلماء في الغرب عظة بالغة للمشتغلين بالعلم في بلاد العرب ، يحتذون مثالهم ويطرسون على اساليبهم البديعة في البحث والدرس .
م . ك

جغرافية العراق الثانوية

« تأليف الزعيم طه بك الهاشمي · يقع في ٢٧٩ صفحة من القطع المتوسط »

الزعيم طه بك الهاشمي اخ ياسين باشا الهاشمي الشهير هو من رجال العراق العاملين فان له عدة مؤلفات بعضها كبير الفائدة كهذا الكتاب الذي يبحث عن جيولوجية بلاد العراق وهوائها وسكانها وانهارها وبحيراتها وجبالها وطرقها في البر والانهار ، وسككها الحديدية ووسائل الري فيها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها ومرافقها الاقتصادية وصناعاتها وقبائلها وتقسيماتها الادارية الخ · وتتجلى قيمة هذا الكتاب في فائدته وفي صعوبة تصنيفه · فاما من حيث الفائدة فانه من خير ما يرجع اليه المهتمون لشؤون العراق الجغرافية · واما من حيث صعوبة تصنيفه فان من يقدم على الكتابة في هذه الموضوعات يحتاج الى السياحة في انحاء البلاد ومراجعة كثير مما كتبه العرب والاجانب في رحلاتهم ومطالعة الرسالات التي تضعها الغرف التجارية والزراعية ومصالح الزراعة والاقتصاد والقبائل والنفوس وبيت المال وغيرها · ولا يخفى ما في تمحيص ذلك من التعب ·

ومما ورد في الكتاب ان مساحة العراق نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلومتر مربع وان سكانه يقدرون بزهاء ثلاثة ملايين نسمة فيصيب الكيلومتر المربع ثمانية اشخاص وهذا قليل ، وان ٧٩ في المئة من السكان هم عرب و١٦ اكراد و٢،٧٥ فرس و٢،٢٥ ترك ، وان من سكانه النصارى الكلدان واليعاقبة والنساطرة ، وان اليزيدية يبلغون نحو عشرين الف نسمة وان معظم اليهود يقطنون المدن وهم يبلغون ٨٠٠٠٠ نسمة ·

وجاء فيه ان ثمن الصادرات من العراق سنة ١٩٢٧ بلغ ٦١ مليون ربية وثمن الواردات اليه ١٠٥ ملايين ربية فاذا صحت هذه الارقام ونسبة الصادر الى الوارد تكون حالة العراق الاقتصادية ارجح من حالة الشام قليلاً · و يظهر ان اهم ما يبتاعه العراق من البلاد الاجنبية هي المنسوجات القطنية والسكر ومواد المعادن والآلات والمنسوجات الحريرية والزيتون والشاي والاخشاب وغيرها · واهم ما يبيعها اياه التمر والحبوب والصوف والجلود والماشية والمنسوجات القطنية والمصارين · و يظهر ايضاً ان حظ بريطانية من صادرات العراق ووارداته يكاد يبلغ الثلث وان العراق هو واسطة مهمة لنقل المتاجر بين الاقطار المجاورة

فان ثمن مايمر به على شكل « ترانسيت » يعادل ثمن صادراته تقريباً .

وجاء ان من المعامل الحديثة معملاً للغزل والنسج في جوار الكاظمية بالقرب من بغداد ومعملاً للنسج وآخر للحدادة في الموصل ومعملاً للحاج في بغداد وآخر للحدادة ووضع السروج اسسته وزارة الدفاع وثالثاً للنسج والتجارة اسسته مصلحة السجون ورابعاً لتوليد القوة الكهربائية في بغداد وهو اجنبي .

ولقد طلب المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب ان ينبه القراء الى مايعثرون عليه من الاغلاط لكي يتلافاها في الطبعات الآتية شأن المؤلفين الافذاذ الذين يسرون من اظهار هفواتهم (جل من لا عيب فيه) ولذلك رأيت من الواجب لفت نظره الى الامور الآتية وهي :

(اولاً) وردت في نضاعيف الكتاب الفاظ البالغ وعنة والفندق والاحراش والحبوبات والصنار والمكائن وصحيحها البليخ وعانة والبندق والاحراج او الحراج والحبوب والدلب والآلات .

(ثانياً) جاء في الصفحة ١٤٧ ان مالا يحتاج الى اسقائه في القسم الشمالي من العراق هي الكرمة وحدها مع انه يمكن زرع اللوز والتين وغيرهما عذياً في الارض الجبلية الكردية حيث الامطار تكفي لهذا الغرض .

(ثالثاً) ذكر في الصفحة ١٥٢ ان البق ينقل جرثومة الملاريا على حين ان ماينقلها هو البعوض .

(رابعاً) ذكر في الصفحة ١٣٦ انه اذا اتبعت خطة محكمة للري في العراق يكون بالامكان زرع مليارين او اكثر من الهكتارات . وهذا مستحيل لان مساحة العراق كله لا تزيد على ٣٧٥٠٠٠٠٠ هكتار .

(خامساً) ورد في الصفحة ١٠٠ ان حلب هي على ضفة الفرات اليمنى مع انها تبعد عنه اكثر من ٨٠ كيلو متراً من اقرب طريق .

(سادساً) خص لفظة الغنم بالضأن على حين انها تطلق على الضأن والمعز .

هذا مارأيت ان انبه المؤلف اليه ولابد من لفت نظره الى ضرورة تجويد لغة الكتاب وتجويد طبع المخططات واستعمال المقاييس والمكاييل العشرية بدلاً من الانكليزية وكذا

درجات الحرارة المئوية بدلاً من درجات فارنهيت (وان كان الانتداب في العراق انكليزياً) فشتان بين الاولى والثانية ٠

وبعد اننا نشكر للسيد الزعيم هديته ونتمنى ان يكثر في القطر الشقيق امثاله من الرجال الذين يخدمون بجدهم امتهم ولغتهم ٠

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

الادب العربي
« في المغرب الاقصى »
[تصنيف السيد محمد بن العباس القباج]
— جزآن صغيران —

ذكر فيهما المؤلف تراجم شعراء المغرب الاقصى في هذا العصر ، وأثبت فيهما صورهم ، ومنتخبات من شعرهم ٠

لمّح السيد محمد بن العباس القباج الى تنبه الفكر في الشرق العربي ، والى امتداد صدى هذا التنبه الى المغرب الاقصى ، والى ما نشأ عن هذا الصدى من انقلاب في الأفكار والاساليب ، حتى عمل الادباء قرائحهم في نفع الامة وصلاحها ٠

جعل أدباء المغرب الاقصى ثلاث طبقات :

طبقة الادباء الكبار الذين يمثلون الادب الماضي في مذاهبه ٠

وطبقة المخضرمين الذين اخذوا من الادب الماضي بنصيب وافر ، واقتبسوا معاني أدب هذا العصر ٠

والطبقة الثالثة انما هي طبقة هذا العصر ، عصر الطيارات ، والسيارات والكهرباء ٠

هكذا رتّب المؤلف كتابه ٠

اما الشعر الذي وقع نظاري عليه في هذين الكتابين فهو مختلف المذاهب ، فمن التغني بايام الصبوة ، الى الحنين الى الوطن ، الى المراثي الى النسيب ، الى الاماديح ، الى وصف الطبيعة ، الى شعر وطني ، الى استفزاز الشباب ٠